معالم النـهوض الحضاري
في
ضوء القصص القرآنـي
(تأصيل وتمثيل وتطبيق)

إعداد
د/ إبراهيم علي عامر
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد
بجامعة الطائف

مقدمة

الحمد لله، علم القرآن، وخلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على من سعد به الثقلان، وآتاه الله مفاتيح البيان، وجعله هادياً بإذنه وقائداً إلى روضات الجنان، والرضا اللهم عن أصحابه ذوي المكانة والشان، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم عدد ذرات الأكوان، صلاة تبغنا بها رضاك والجنان.

أما بعد ....

فقد أدرك الفقهون عن الله تعالى أن ذروة الفضل، وذؤابة الشرف، وجوهر السعادة في التعلق بكتاب الله تعالى، الذي هو حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وهو مأدبة الله تعالى، ودستوره الخالد، والمحيط الجامع لأنواع العلوم والمعارف، والمنهاج الأعظم للتربية والتحقق، ومن ثمّ تبتلت قلوبهم في محراب التنزيل، وعكفوا على تدبر آياته واستكناه أسراره لاستخلاص حقائق الوجود من مشكاة عرفانه. ([1])

ولا عجب فقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين؛ يَأْمُرُ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٱللَّهَ [النحل: ٨٩]، "فمن أنصف علم أنه ليس فى يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل القرآن". ([2])

---

١ - من مقدمة البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (١/ ١٥)، ت: د/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩ هـ.

٢ - تفسير روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (٨/ ٢٢٦)، ط: دار الفكر – بيروت، د.ت، وينظر: من مقدمة البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (١/ ١٥)، ت: د/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط : الدكتور حسن عباس زكي ، القاهرة، ١٤١٩ هـ.

وللقرآن الكريم مقاصده، وأساسها ومحورها تحقيق الهداية بمفهومها العام الوارد في قوله تعالى: يَأْمُرُ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا ٱللَّهَ [سورة البقرة : ٢]، فلكل حرف فيه دلالة، ولكل نظم فيه وأسلوب غاية؛ لذا كان الحض على تدبره؛ يَأْمُرُ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ ٱللَّهَ [سورة النساء : ٨٢]، ولا شك أن لتعدد الوسائل أثراً في تحقيق المقاصد.

وقد تنوعت الأساليب القرآنية، وتعددت، فجاء فيه القصص والأمثال والأحكام والوعد والوعيد.....

ومن أساليب القرآن الرئيسة ووسائل هدايته النفيسة القصة القرآنية، فهي أحد الأساليب المحققة لمقاصده، المتضمنة هداياته، الموصوفة بخصائصه.

ولما كانت القصة القرآنية جديرة بالبحث والتأمل؛ وصولاً إلى إدراك العبرة وتطبيقها؛ تناولت – بتوفيق من الله– موضوعاً يكشف جانباً من جوانب الهداية في القصة القرآنية، تحت عنوان: معالم النهوض الحضاري في ضوء القصص القرآني–تأصيل وتمثيل وتطبيق.

ولا أنسى في مقام الابتداء أن أسأل ربي أن يجزي أساتذتي عني خير الجزاء، وأن يرحم ميتهم برحمته الواسعة، وأن يجعل ما كان في عملي من صواب في موازين حسناتهم.

-أسباب اختيار موضوع البحث:

تتلخص أسباب البحث في:

١– تحقيق مقاصد القرآن الكريم العامة في هداية الناس وإرشادهم إلى ما يقيم حضارتهم وينهض بها.

٢– تحقيق مفهوم التدبر الذي حضّ عليه القرآن الكريم من أجل استنباط العبر والفكر والاستفادة من الحكمة القرآنية الجامعة.

٣– حاجة الدراسات الحضارية إلى القرآن الكريم؛ مفتاح العلوم، ومصدر الفهوم.

٤- إثبات إمكانية استخراج معالم النهوض الحضاري من القرآن الكريم؛ كدليل على دوام هدايته ودوام إعجازه واستمراره .

٥- تطبيق مفهوم العبرة كمقصد أساس للقصص القرآني، وبيان اتساع مفهومها ليشمل الفوائد الجمة والعلوم الوفيرة.

-أهمية موضوع البحث:

تكمن أهمية البحث في:

١- محاولته استنباط معالم النهوض الحضاري من خلال تدبر القصص القرآني.

٢-أنه يبين صورة للحضارة التي جاء بها الإسلام لإصلاح الناس معاشاً ومعاداً.

٣-أنه يفتح أفقا جديدا من الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم .

٥-مساهمته في مجال الدعوة إلى الإسلام من خلال إبراز جوانب الحضارة ومعالم النهضة في أصول الإسلام ومصادره .

٦-أنه يمثل صورة من صور تدبر القرآن الكريم، المأمور به.

-أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١-إعمال الفكر والنظر في استدعاء آيات القصص القرآني لاستخراج معالم النهوض الحضاري المطلوبة عند علماء السياسة الشرعية والدراسات الحضارية.

٢-الإلمام بالمفاهيم المعنية بالحضارة كالبناء والنهوض والبعث في توجيه الحياة لتتفق مع معطيات كتاب الله تعالى ربوبية وألوهية وعبودية.

٣-إمكانية تجديد الفكر الحضاري المتعلق بالأمة الإسلامية بما يتوافق مع مطالب الحياة المعاصرة.

٤-الوقوف على بديع النظم وجمال التأليف في كتاب الله تعالى في مجال

القصص القرآني ومعالم النهوض الحضاري فيه.

-مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في إمكانية الوقوف على تصور شامل لمعالم النهوض الحضاري لأمة من الأمم من خلال القصص القرآني، وتتلخص أسئلة البحث في:

١- هل يمكن استخلاص معالم النهوض الحضاري من خلال القصص القرآني؟

٢- هل يمكن استخلاص معوقات النهوض الحضاري من خلال القصص القرآني ؟

٣- هل يمكن استخلاص نماذج تطبيقية لمعالم النهوض الحضاري من خلال القصص القرآني ؟

٤- هل يمكن استخلاص نماذج تطبيقية لمعوقات النهوض الحضاري من خلال القصص القرآني؟

-الدراسات السابقة:

وقفت على عدد من الدراسات العلمية المتعلقة بالدراسات الحضارية الخالصة، و كذلك النظم الحضارية الاجتماعية والخلقية في القرآن الكريم، غير أن أغلب هذه الدراسات تختلف عن البحث سواء كان ذلك في المنهج والمحتوى، وقد استفدت منها في بحثي فالشكر لأصحابها، ومن هذه الدراسات:

- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، ط: دار القلم- دمشق، الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- على عتبات الحضارة، بحث في السنن وعوامل التخلق والانهيار، د/بتول أحمد جندية، ط: دار الملتقى سورية، الأولى – ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

-منهج الدراسة:

يعتمد البحث عموما على المنهج التحليلي والاستقرائي والوصفي، وتعتبر تفاصيل منهج التفسير الموضوعي منهجاً له.

-خطة البحث:

قسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

-المقدمة: وتشتمل علي: أهمية الموضوع، وأهدافه، وخطة البحث، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة.

-التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية، وخصائصها، ومقاصدها.

المطلب الثاني: مفهوم النهوض الحضاري، والألفاظ ذات الصلة.

-المبحث الأول: أسس البناء الحضاري في القصة القرآنية ، وفيه مطالب:

المطلب الاول: الأساس الأول: الإنسان.

المطلب الثاني: الأساس الثاني: المنهج.

المطلب الثالث: الأساس الثالث: الأسباب.

المطلب الرابع: الأساس الرابع: منظومة القيم التشريعية والإنسانية.

-المبحث الثاني: عوامل النهوض الحضاري في القصة القرآنية . وفيه مطالب:

المطلب الاول: العامل الأول : الإيمان بالله – تعالى – ، وتقواه، والاتباع.

المطلب الثاني: العامل الثاني: العلم والعمل به.

المطلب الثالث: العامل الثالث: مراعاة القيم الاجتماعية والأخلاقية.

المطلب الرابع: العامل الرابع: المحاسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الخامس: العامل الخامس: مراعاة السنن الإلهية في الأفراد

والمجتمعات.

-المبحث الثالث: معوقات النهوض الحضاري في القصة القرآنية، وتحته مطالب:

المطلب الاول: المعوق الأول: الخلل العقدي.

المطلب الثاني: المعوق الثاني: الموروثات الخاطئة.

المطلب الثالث: المعوق الثالث: مجافاة القيم الاجتماعية والأخلاقية.

المطلب الرابع: المعوق الرابع: السلوكيات المحرمة.

المطلب الخامس: المعوق الخامس: الفساد عموماً.

-المبحث الرابع: منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري، وفيه مطالب:

المطلب الأول: منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري للفرد.

المطلب الثاني: منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري للمجتمع.

المطلب الثالث: منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري للكون.

-المبحث الخامس: نماذج تطبيقية لأسس النهوض الحضاري ومنهجه ومعوقاته، وفيه مطالب:

المطلب الأول: قصة سليمان – عليه السلام – في سورة النمل ؛ نموذجا لأسس النهوض الحضاري.

المطلب الثاني: قصة ذي القرنين ؛ نموذجا لمنهج النهوض الحضاري.

المطلب الثالث: قصة أصحاب مدين ؛ نموذجا لمعوقات النهوض الحضاري.

-الخاتمة : وتتضمن:

أولا : نتائج البحث .

ثانيا : توصيات البحث .

ثالثا : الفهارس العلمية .

وختاماً أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وما كان من توفيق فهو من الله وحده، وما كان من سهو أو زلل فمني ومن الشيطان.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

يتضمن عنوان البحث عدداً من المصطلحات والمفاهيم واجبة البيان؛ حيث إدراك الكلي فرع عن تصور أجزائه؛ لذا كان من الضروري بيان عدد من المفاهيم والمصطلحات المتصلة بالبحث وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: **مفهوم القصة القرآنية**، **وخصائصها**، **ومقاصدها**:

-الفرع الاول : مفهوم القصة لغة واصطلاحاً.

أ-المفهوم اللغوي:

القصة – بالكسر–واحدة القِصص، اسم مشتق من مادة: " قص " الدالة في أصل وضعها اللغوي على معنى التتبع بعمومه، يقال: قص الشيء: تتبع أثره، ثم اشتق العرب من هذا الأصل عدداً من الألفاظ المرتبطة به والدائرة حوله مثل: القِصاص، والقصة، وقص الشعر. ([1])

ويدور المعنى المحوري لمادة: " قصّ ": حول " تتبع أو تتابع باطراد مع

---

١ - ينظر : العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٥/ ١٠- ١٢)، ط دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د/مهدي المخزومي، د /إبراهيم السامرائي، و جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (١ /١٤٢)، ط دار العلم للملايين، الأولى ١٩٨٧م، تحقيق: رمزي بعلبكي، وتهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٠٩/٨-٢١٢)، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الأولى ٢٠٠١م ، تحقيق: محمد عوض مرعب، المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده، (٤٧٥/٣) ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، تحقيق: خليل إبراهم جفال، و المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده (١٠٠/٦)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ٢٠٠٠م، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، وأساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥١٠/١)، ط: دار الفكر - ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، والمغرب في ترتيب المعرب لأبي الفتح ناصر الدين المطرزي (٢ /١٨٢) ، طبع ونشر مكتبة أسامة بن زيد – حلب – سورية، بدون تاريخ، ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٧ /٧٣- ٧٤)، ط: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، و المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٢/ ٥٠٥-٥٠٦)،ط: المكتبة العلمية – بيروت، وتاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي (٩٨/١٨، ٩٩)، ط : دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.

تسوية حسية كقص الشعر ونحوه، أو معنوية، وتعني عدم التخلف، كقولهم: قصصت الشيء: تتبعت أثره، والتسوية هنا الانضباط على ذلك، والاستواء في القصة يعني كمال التفاصيل، أو حكايتها متتابعة حسب ما سُمع أو وقع.([1])

والمتأمل الألفاظ المشتقة من مادة القص يتبين محورية معنى التتبع فيها، ففي القِصاص تتبع للقاتل ومساواة، وفي القِصة تتابع للأحداث والعبر وتتبع لهما، وفي قَص الشَعْر تتبع لأصوله واتجاهه.

قال ابن فارس: " القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبعته، ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح وذلك أنه يفعل به مثل فعله بالأول فكأنه اقتص أثره، ومن الباب القصة والقصص كل ذلك يتتبع فيذكر، وأما الصدر فهو القص، وهو عندنا قياس الباب؛ لأنه متساوي العظام كأن كل عظم منها يتبع للآخر، ومن الباب: قصصت الشعر، وذلك أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها، فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقها، وقصاص الشعر نهاية منبته من قدم، وقياسه صحيح ، والقصة: الناصية، و القصيصة من الإبل البعير يقص أثر الركاب، وقولهم : ضرب فلان فلانا فأقصه أي أدناه من الموت، وهذا معناه أنه يقص أثر المنية، وأقص فلانا السلطان من فلان: إذا قتله قوداً " ([2]).

ويجمع المصنفون في غريب القرآن أيضاً على أصلية معنى: التتبع المتضمن معنى المساواة والمطابقة للواقع في مفهوم مادة: قصّ ومشتقاتها

١ ـ ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، أ.د/ محمد حسن حسن جبل (ص: ١٧٨٩، ١٧٩٠)، ط: مكتبة الآداب- القاهرة، الأولى، ٢٠١٠م.

٢ ـ معجم مقاييس اللغة (٥ /١١)، ط : دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م ، الطبعة الثانية ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون.

في القرآن الكريم. ([1])

قال الراغب: " الْقَصُّ: تتبّع الأثر، يقال: قَصَصْتُ أثره، والْقَصَصُ: الأثر. قال تعالى: يَأْمُرُ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ٱللَّهَ [الكهف: ٦٤]، يَأْمُرُ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ٱللَّهَ [القصص: ١١]، ومنه قيل لما يبقى من الكلأ فيتتبّع أثره: قَصِيصٌ، وقَصَصْتُ ظُفْرَهُ، والْقَصَصُ: الأخبار المتتبّعة، قال: يَأْمُرُ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ٱللَّهَ [آل عمران: ٦٢]، يَأْمُرُ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱللَّهَ [يوسف: ١١١]، يَأْمُرُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ٱللَّهَ [القصص: ٢٥]، يَأْمُرُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ٱللَّهَ [يوسف: ٣]، يَأْمُرُ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ٱللَّهَ [الأعراف: ٧]، يَأْمُرُ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ ٱللَّهَ [الأعراف: ١٧٦]، والقِصاصُ: تتبّع الدّم بالقود، قال

١ ـ ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٦٩)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ت: السيد أحمد صقر، ونزهة القلوب " غريب القرآن " لأبي بكر السجستاني (ص: ١٦٤)، ط: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح – القاهرة، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م، وياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لمحمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب، (ص:٣٩٩)، ط: مكتبة العلوم والحكم – السعودية- المدينة المنورة، الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني، وتفسير المشكل من غريب القرآن العظيم لمكي بن أبي طالب القيسي (ص: ٢٤٠)، ط: دار النور الإسلامي، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، ت: هدى المرعشلي، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأثير الدين أبي حيان الأندلسي (ص: ٢٦٢)، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ت: سمير المجذوب، وبهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب لعلي بن عثمان المارديني (ص:١٤٤)، ط: دار ابن قتيبة – الكويت، د.ت، ت: ضاحي عبد الباقي، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (٣١٢/٣، ٣١٣)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ت: محمد باسل عيون السود، التبيان في غريب القرآن لابن الهائم (ص: ١٠٢، ١٢٥، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٥٦)، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الأولى، ٢٠٠٣م، ت: ضاحي عبد الباقي، وتفسير غريب القرآن لمحمد بن إسماعيل الصنعاني (ص: ٢٦٠)، ط: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، د.ت، ت: محمد صبحي حلاق، والهادي إلى تفسير غريب القرآن أ.د/ محمد سالم محيسن، أ.د/ شعبان محمد إسماعيل (ص: ٢٨، ٥٣، ١٦٣، ١٩١)، ط: مكتبة جعفر الحديثة – القاهرة، د.ت، والسراج في بيان غريب القرآن د. محمد بن عبد العزيز الخضيري (ص: ١٧، ٤٣).

تعالى: يَأْمُرُ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ٱللَّهَ [البقرة: ١٧٩]، يَأْمُرُ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ٱللَّهَ [المائدة: ٤٥] ويقال: قَصَّ فلان فلانا، وضربه ضربا فَأَقَصَّهُ، أي: أدناه من الموت". (١)

والقصة المرادة في البحث تعني في اللغة: الأمر والخبر، يقال: قصصت الحديث: رويته على وجهه، ومن الباب قوله تعالى: يَأْمُرُ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ٱللَّهَ [يوسف: ٣]، أي: نبين لك أحسن البيان. (٢)

ب- القصة في الاستعمال القرآني:

استعمل القرآن الكريم مادة : قص ومشتقاتها بمعنييها اللغوي والاصطلاحي ومشتقاتها المختلفة.

- فاستعملها بمعناها الأصل (تتبع الأثر) في قوله تعالى : يَأْمُرُ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ٱللَّهَ [سورة الكهف: ٦٤]، " والمراد: رجعا في الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر قصصاً، والقصص اتباع الأثر". (٣)

وفي قوله تعالى: يَأْمُرُ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٱللَّهَ [القصص: ١١]، " يعني: قصي الأثر، فقصت الأثر حتى رأته عند فرعون".(٤)

- واستعمل: "قص" بمعنى تتبع الخبر وذكره -وهو قريب من المفهوم

١ - المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ص: ٦٧١، ٦٧٢)، ط: دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، الأولى - ١٤١٢ هـ، ت: صفوان عدنان الداودي،.

٢ - ينظر: الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ص:٧٣٤)، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ت: عدنان درويش - محمد المصري.

٣ - ينظر: معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس (٢٦٦/٤)، ط: جامعة أم القرى - مكة المرمة – ١٤٠٩هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد علي الصابوني.

٤ - ينظر: تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج (٤٧٨/٢)، ط: المنشورات العلمية ، بيروت ، تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي.

الاصطلاحي- باشتقاقات وتصاريف مختلفة ما بين الفعل -بأزمنته المختلفة: (قص، قصصنا، قصصناهم، تقصص، نقصّ، نقصص، فلنقصن، يقصّ، يقصون، فاقصص)، وما بين الاسم: (القصص) ([1]).

كما جاء في القرآن الكريم تسمية القرآن نفسه بالقصص؛ اعتباراً لوجوب اتباعه، ومنه قوله تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ چ [آل عمران: ٦٢]. ([2])

- وورد كذلك القصاص المشتق من نفس الجذر اللغوي، وهو بمعنى تتبع الدم بالقود في قوله تعالى: يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٱللَّهَ [سورة البقرة : ١٧٩].

والمراد بالقصاص: " أن يفعل بالإنسان مثل ما فعل، من قولك: اقتص فلان أثر فلان إذا فعل مثل فعله" . ([3])

وتعتبر مادة: " قصّ " ومشتقاتها من الوجوه والنظائر القرآنية، حيث وردت في القرآن الكريم على وجوه سبعة من المعاني:

- أحدها: التسمية، ومنه قوله تعالى: يَأۡمُرُ وَرُسُلًا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلًا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ ٱللَّهَ [النساء: ١٦٤]، يعني: سميناهم لك، ولم نسمهم.

- الثاني: القراءة، ومنه قوله تعالى: يَأۡمُرُۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ ٱللَّهَ [الأعراف: ١٧٦]، أي: فاقرأ، مثلها في سورة الأنعام: يَأۡمُرُ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ٱللَّهَ

١ - يراجع في مواضع ورود مادة قص: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للمرحوم محمد فؤاد عبد الباقي (ص ٥٤٦) ، ط مطبعة دار الكتب – القاهرة ، ١٣٦٤هـ ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم -مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٩٠٠/١ ، ٩٠١) ط مجمع اللغة العربية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

٢ - ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (١٥/٢)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى.

٣ - المرجع السابق (٤١/٥).

[الأنعام: ١٣٠]، يعني: يقرأون ويتلون.

– الثالث: البيان، ومنه قوله سبحانه: يَأْمُرُ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱللَّهَ [النمل: ٧٦]، أي: يبين لهم، مثلها في سورة هود: يَأْمُرُ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ٱللَّهَ [هود: ١٢٠]، أي: نبين.

–الرابع: الطلب، ومنه قوله سبحانه: يَأْمُرُ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ٱللَّهَ [الكهف : ٦٤]، يعني: يقصان الأثر، ويطلبان الموضع الذي انسرب فيه الحوت.

– الخامس : الخبر، ومنه قوله تعالى: يَأْمُرُ ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ٱللَّهَ [القصص: ٢٥]، يعني: أخبره بخبره.

–السادس : التنزيل، ومنه قوله تعالى: يَأْمُرُ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ ٱللَّهَ [طه: ٩٩]، يعني بالأنباء الأخبار.

– السابع: اتِّبَاع الْأَثَر، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: يَأْمُرُ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ ٱللَّهَ ،[القصص: ١١]. ([1])

ج-المفهوم الاصطلاحي :

لمفهوم القصة القرآنية في اصطلاح علوم القرآن خصوصية وتميز يجعلانها تختلف عن مفهومها الاصطلاحي عند الأدباء وأهل التاريخ وغيرهم،

١- ينظر: قاموس القرآن (إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)، للإمام المفسر الحسين بن محمد الدامغاني (ص: ٣٨٢، ٣٨٣)، ط: دار العلم للملايين - بيروت، الثالثة، ١٩٨٠م، ت: عبد العزيز سيد الأهل، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ص: ٤٩١، ٤٩٢)، ط: مؤسسة الرسالة- لبنان- بيروت، الأولى، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، أ.د/ أحمد مختار عمر وفريق عمل (ص: ٣٧٣)، ط: مؤسسة سطور المعرفة- الرياض، الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

وقد تسبب عدم إدراك هذه الخصوصية في خطأ بعض الباحثين خاصة من الأدباء، حيث طالبوا القصص القرآني بأركان القصة بمفهومها العام في اللغة والأدب.

يقول الأستاذ الدكتور/ إبراهيم خليفة -رحمه الله-: " وقد أخطأ بعض الباحثين عندما يطلبون في القصص القرآني أن يستكمل أركان القصة بالمعنى المحدث التي هي مستمدة من الخيال ومبنية على قواعد فنون الكتابة (٤)؛ وذلك لأنهم لم يفرقوا بين القصة بمعنى الحكاية والقصة بمعنى الخبر المحدث به على وجهه، والثاني هو المراد في القصص القرآني؛ لأن الأشخاص والزمان والمكان ليست بالضرورة أركانا للخبر المحدث به، فقد يبهم المكان والزمان كما في قوله تعالى: يَأۡمُرُ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ٱللَّهَ [يوسف: ١٦]، وقد يبهم الزمان كما في قوله تعالى: يَأۡمُرُ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٱللَّهَ [يوسف: ٩٩]، وقد يبهم الشخص أو الأشخاص كما في قوله تعالى: يَأۡمُرُ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ١٧ ٱللَّهَ [القلم: ١٧]، فالذي يجب وجوده في القصص القرآني هو الحدث والعبرة، أما بقية عناصر القصة المحدثة فإنما توجد بحسب الحاجة إليها وأهميتها في القصة (الخبر)، فلو كان للشخصية مدخل كبير في الحدث، فإنها تذكر كمريم- عليها السلام- في قصتها، والهدهد في قصة سبأ، وكثيرا ما تأتى الشخصية بصورة التنكير كما في قصة النملة، لأن الحدث مبناه منطق النملة وسماع سليمان عليه السلام لها، وقد يهتم بإبراز الزمان كما في قصة أهل الكهف في قوله تعالى: يَأۡمُرُ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا چ [الكهف: ٢٥]، وكذلك في قوله تعالى: يَأۡمُرُ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥ چ [البقرة: ٢٥٩]، فالزمان المذكور إنما يذكر بمقدار ما يحتاجه الحدث، وكذلك المكان كمصر والأحقاف والكهف، وهذه تعد الميزة الأولى في القصص القرآني التي تميزه عن سائر

القصص".([1])

ولبيان تميز القصص القرآني مفهوماً وموضوعاً عن غيره أسوق تعريف القصة عند أرباب العلوم التي تناولتها بالتعريف على النحو التالي:

ـ القصة في اصطلاح الأدباء:

اختلفت اتجاهات المؤلفين في الأدب إزاء تعريف القصة وتحديد مفهومها، وهذا يؤكد ضرورة ما سبق من التمييز بين القصص القرآني وغيره من القصص الأدبي، وخطأ من رام محاكمة القصص القرآني ووزنه بميزان وضوابط القصة غير القرآنية.

وجاءت تعريفاتهم للقصة اصطلاحاً على النحو التالي:

أ- ذهب بعضهم إلى القول بأنها: " ترادف: الحكاية والخبر والخرافة، وأنه ليس لها تحديد واضح ولا مدلول خاص في المعاجم القديمة، سوى أنها الخبر المنقول شفوياً أو خطياً، وسوى أن القصاص هم الذين يقصون على الناس ما يُرِقُّ قلوبهم" . ([2])

ب- وعرفها من يرى إمكانية وضع تعريف لها بأنها: "حكاية تعتمد على السرد والوصف وصراع الشخصيات، بما ينطوي عليه ذلك من تخلل عناصر الحوار والجدل الدائرين بين الأشخاص والأحداث". ([3])

ـ القصة في علوم القرآن:

تناول القصص القرآني بالتعريف اصطلاحاً جماعة من المفسرين قديماً وحديثاً.

- فعرفها الفخر الرازي بأنها: " مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى

١ ـالموسوعة القرآنية المتخصصة (ص: ١٨٤، ١٨٥)، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر .

٢ـ المعجم الأدبي، د/ جبور عبد النور(ص:٢١٢) بتصرف يسير، ط: دار العلم للملايين، بيروت- لبنان ،الأولى، ١٩٧٩م.

٣ـ عن اللغة والأدب والنقد، رؤية تاريخية ورؤية فنية ، د/ محمد أحمد العزب (ص:١٧٧)، ط: دار المعارف، القاهرة – مصر، الأولى، ١٩٨٠م.

الدين، ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة " . ([1])

– وعرفها ابن جزي بأنها:" ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف وذي القرنين. ([2])

– وعرفها الطاهر بن عاشور بأنها: " الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم" . ([3])

كما عُرّف قصص القرآن في كتب علوم القرآن الكريم

كما تناول قصص القرآن بالتعريف المصنفون المحدثون، ومن تعريفاتهم:

– أن قصص القرآن هو : " أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة" . ([4])

– أن قصص القرآن هو: " أنباء وأحداث تاريخية لم تتلبس بشيء من الخيال، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، ومع هذا فقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من القصص من الإثارة والتشويق، مع قيامه على الحقائق المطلقة، الأمر الذي لا يصلح عليه القصص الأدبي بحال أبداً". ([5])

<u>وتعليقاً على التعريفات السابقة للقصة القرآنية اصطلاحاً يمكن القول:</u>

أ– لوحظ عدم تعريف غالب المفسرين لمفهوم القصة أو القصص في القرآن الكريم، وأظن ذلك لوضوح الأمر، ولتميز للقصة القرآنية وخصوصيتها.

ب– لوحظ اختلاف المعرفين في التعبير حسب اختلاف المقصد، فبعضهم

---

١ ـ التفسير الكبير (٨ /٧٤).

٢ ـ التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي (٦/١)، ط: دار الكتاب العربي ـ لبنان، الرابعة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٣ ـ تفسير التحرير والتنوير، للعلامة محمد الطاهر بن عاشور (٦٤/١)، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ ١٩٩٧م.

٤ـ مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الثالثة، ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

٥ ـ الإعجاز القصصي في القرآن، أ.د سعيد عطية علي مطاوع، (ص: ٣٩)، ط: دار الآفاق العربية بالقاهرة، الأولى، ٢٠٠٦م.

ركز على جانب العبرة والمقصد في تعريفه القصص، و عرف بعضهم القصص بما يحدد مفهومه، ويخرج منه قصص الحاضر، ويقصره على الغائب منه، وذهب بعضهم إلى توسيع دائرة مفهوم القصص ليشمل كل خبر ورد في القرآن الكريم، حتى ولو كان في الزمن الحاضر، وذهب بعضهم إلى تكييف تعريف القصص ليتناسب وغرض الكتاب الوارد فيه مركزاً على جهة الإعجاز في القصص أو غيرها....

ومن خلال ما سبق، يمكن اختيار تعريف يجمع بين تحديد المفهوم، وذكر الخصائص والميزات، ورعاية المقاصد والغايات، فيقال في تعريف القصة القرآنية اصطلاحاً: "إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفراداً وجماعات، من كائنات بشرية أو غير بشرية، بحق وصدق، للهداية والعظة والعبرة". ([1])

-الفرع الثاني : خصائص القصص القرآني:

اختص القصص القرآني بخصائص ومميزات لم تتوافر لغيره من القصص.

وقبل تناول الخصائص بالتفصيل المجز، أشير إلى أن القرآن الكريم قد وصف قصصه بوصفين جليلين: - أولهما: أنه القصص الحق، وذلك في قوله تعالى: يَٰٓأَمُرُ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ [آل عمران: ٦٢]، وفي هذا الوصف دلالات، منها:

– التعريض بما سواه من القصص الباطل ([2])،بناءً على كون الضمير

١ - القصص القرآني، أ.د/ عبدالباسط إبراهيم بلبول، (ص: ٣٩)، رسالة دكتوراه، مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة.

٢ - ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ،لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (١٧٤/١)، ط: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الأولى ، تحقيق : أحمد فريد، وتفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (٥٠٥/٢)، ط : دار الكتب العلمية – بيروت-لبنان، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الأولى ، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، وآخرون.

للفصل ودخول لام الابتداء عليه لزيادة التقوية التي أفادها؛ لأنّ اللام وَحدها تفيد تقوية الخبر وَضمير الفصل يفيد القصر، أي: هذا القصص، لا ما تَقُصُّه كتُب النصارى وعَقائِدهم" . ([1])

– ليكون النبي ﷺ ثقة من أمره، وكذلك سائر من يشمله الخطاب من الدعاة والمصلحين. ([2])

ـ الثاني: أحسن القصص، وذلك في قوله تعالى: يَأْمُرُ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ٱللَّهَ [يوسف: ٣]، و " أَحْسَنَ " هنا: يجوز أن يكون: أفعل تفضيل على بابها، وأن يكُون لمُجرَّد الوصف بالحسن، وتكون من باب إضافة الصِّفة لموصوفها، أي : القصص الحسن ([3])، وفي هذا الوصف دلالات:

– أولها: أن قصص القرآن الكريم أحسن من غيره، بدلالة أفعل، فوجب الاكتفاء به والاستغناء عن كل مصدر سواه ([4])، ويوضح فائدة هذه الدلالة ما ورد من أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ لمسألة أصحابه إياه أن يقص عليهم وسؤالهم سلمان ﷺ أن يقص عليهم من أخبار التوراة .([5])

– الثانية: الإشارة إلى صدق القصة القرآنية وواقعيتها ومتعتها وتميزها وجازةً ووفاءً، وذلك باعتبار نسبتها، فالقاصّ عرفاً: هو الذي يأتي بالقصة

١ ـ ينظر: تفسير التحرير والتنوير (٢٦٧/٣).
٢ ـ ينظر: التفسير الكبير (٧٤/٨).
٣ ـ اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (٦/١١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٩ هـ ـ١٩٩٨م، الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.
٤ ـ ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٢٣/٣).
٥ ـ ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (١٥/١٢)، ط: دار الفكر ـ بيروت – ١٤٠٥هـ، زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (١٧٩/٤)، ط: المكتب الإسلامي ـ بيروت – لبنان، الثالثة ١٤٠٤هـ.

على حقيقتها مع مراعاة التشويق والإمتاع (١)، فما بالنا بالقصص المنسوب إلى أصدق القائلين؟!!

ولا شك أن وصف الحسن في قصص القرآن عام يشمل اللفظ والمضمون.(٢)

وقد عدّ المصنفون في قصص القرآن خصائص لها أوجز أهمها في التالي:

أ- التميز في الأسلوب:

يقصد بالتميز في أسلوب القصص أنها بثت بأسلوب بديع، إذ ساقها في مظان الاتعاظ بها مع المحافظة على الغرض الأصلي الذي جاء به القرآن من تشريع وتفريع. (٣)، وقصص القرآن جميعاً نماذج لهذه الخصيصة، فلا تخلو منها قصة.

ومن الأمثلة التي تبين هذه الخصيصة قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى: يَأْمُرُ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ

١ - ينظر: النكت والعيون (تفسير الماوردي)، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٦/٣)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، د.ت، ت: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، وتفسير البغوي (٤٠٨/٢)، ط: دار المعرفة - بيروت – لبنان، ت: خالد عبد الرحمن العك.

٢- ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤١٥/٢، ٤١٦)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت - لبنان، ت: عبد الرزاق المهدي، زاد المسير في علم التفسير (١٧٩/٤)، التفسير الكبير (٦٨/١٨، ٦٩)، تفسير التحرير والتنوير (٦٤/١).

٣ - ينظر: تفسير التحرير والتنوير (٦٤/١، ٦٥)، المعجزة الكبرى القرآن، للإمام محمد أبو زهرة (ص: ١٤٩)، ط: دار الفكر العربي، د.ت.

أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ٱللَّهَ [القصص: ٧ – ١٢].

حيث ترينا صورة أمّ مضطربة منزعجة خائفة لما أثقلت ألقت حملها، فإذا أثقال جديدة، إنما تريد نجاته، فيعلوها الاضطراب والخوف والفزع، وإذ الإلهام يجيئها بإلقائه باليم مع إثلاج قلبها بألَّا تخاف وألَّا تحزن، ومَنَّ الله تعالى عليها بالاطمئنان بأنه سيعود إليهًا، وهكذا يكون الاطمئنان في موطن الخوف، والقرار في موطن الاضطراب، والسكون في موطن الهلع، يغيب عنها فلذة كبدها فيفرغ قلبها، ويغلب الفزع على الاطمئنان وهي تغالب حال الفزع بحال الاطمئنان إلى أن وعد الله تعالى بالاطمئنان، ويصطرع الأمران في نفسها، يغلب الإلهام فتطمئن، ويغلب الفزع القلبي فتكاد تبدي أمرها وتظهر سرَّها، ولو علم به أعداؤه وأعداؤها أعداء الله تعالى؛ ولكنَّ الله تعالى يربط على قلبها بالصبر وهي تصبر، ولكنها لا تسكن بل تتحرك بعمل، فترسل أخته لتتقصى أخباره، وتتعرَّف أحواله، فترى المعجزة الكبرى؛ إذ يمتنع عن المراضع، حتى يعود إلى أمه وتأخذه أخته إلى الأم التي تضطرب بين اليأس والرجاء، بين الأمل الباسم والحرمان الدائم. ([1])

ب- الإيجاز:

الإيجاز هو القصد في اللفظ مع وفاءٍ تام بالمعنى، وهذه خاصة لم تعرف لغير القرآن، فإن أبلغ البلغاء من الناس لا يستطيع أن يأتي بكلام لفظه قليل، ومعناه وافٍ ، وهو إن اتفق له في الموضع الواحد والموضعين، فلا يتفق له في جملة كلام شعراً أو نثراً، وما هو بحاصل إلا على كلام نسبي غير مطرد،

١ - ينظر: المعجزة الكبرى القرآن (ص: ١٤٩، ١٥٠).

بحسب ما أوتى من إلهام وتوفيق، فأبلغ البلغاء إذا حفل باللفظ أضر بالمعنى ، وإذا حفل بالمعنى أضر باللفظ، نهايتان من حاول أن يجمع بينهما وقف منهما موقف الزوج بين ضرتين، لا يستطيع أن يعدل بينهما دون ميل إلى إحداهما. ([1])

وقد نسج نظم قصص القرآن على أسلوب الإيجاز، ليكون شبهها بالتذكير أقوى من شبهها بالقصص، مثال ذلك قوله تعالى في سورة القلم: يَأْمُرُ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ٱللَّهَ [القلم: ٢٦ – ٢٨]، فقد حكيت مقالته هذه في موقع تذكيره أصحابه بها، لأن ذلك محز حكايتها، ولم تحك أثناء قوله: يَأْمُرُ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ٱللَّهَ [القلم: ١٧]، وقوله: يَأْمُرُ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهَ [القلم: ٢١ – ٢٢].([2])

وللإيجاز صور متعددة ووسائل شتى يمكن أن تعد كل منها منفردة خصيصة من خصائص القصة القرآنية، منها:

١- <u>ما تضمنه القصص القرآني من طي ما يقتضيه الكلام الوارد</u>، كقوله تعالى في سورة يوسف: يَأْمُرُ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ ٱللَّهَ [يوسف: ٢٥]، فقد طوي ذكر حضور سيدها وطرقه الباب وإسراعهما إليه لفتحه، فإسراع يوسف ليقطع عليها ما توسمه فيها من المكر به لتري سيدها أنه أراد بها سوءً، وإسراعها هي لضد ذلك لتكون البادئة بالحكاية فتقطع على يوسف ما توسمته فيه من شكاية، فدل على ذلك ما بعده من قوله: يَأْمُرُ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ٱللَّهَ الآيات..... ([3])

١- ينظر: النبأ العظيم ص ١١٠ ، ١١١ ط دار الثقافة قطر – ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٢ - تفسير التحرير والتنوير (٦٤/١، ٦٥) بتصرف.
٣ - تفسير التحرير والتنوير (٦٥/١) بتصرف.

٢- الاقتصار من حوادث القصة على ما يتعلق به الغرض إذا لم يقتض الغرض سرد أحداث القصة متتابعة مفصلة، ولعل هذه الخاصية هي سبب عدم سرد القرآن حوادث القصة سردا تاريخيا، تبعا لسلسلة الوقائع والأحداث. لأن ذلك يبعد القصة عن مقصدها، ويضرب مثالاً لهذا قصة أصحاب الكهف.

٣- إقحام النصائح والعظات في ثنايا القصة، وهو مظهر عام يشمل شتى الموضوعات القرآنية، فالقرآن لا يدع القارئ يندمج مع موضوع من مواضيعه وينصرف إليه بكل تفكيره، دون أن يفصل بين أجزائه بفواصل من العظات تنبهه إلى المقصود من كل هذه المباحث، وتربط على قلبه برباط من الخشية والمراقبة الإلهية عند قراءتها والتأمّل فيها.

ومن أمثلة هذا قول الله تعالى في سورة طه، أثناء عرضه لقصة موسى مع فرعون: يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ [طه: ٤٩ – ٥٤].

فقد تحولت الآيات هنا عن القصة وسردها إلى التذكير بعظمة الله ومظاهر ألوهيته ودلائل وجوده؛ حتى إن ضمير الخطاب فيها تحول عن خطاب موسى لفرعون إلى خطاب الله للناس كلهم كما تجد في سرد الآيات.([1])

جـ- التكرار:

يعتبر التكرار من أهم خصائص قصص القرآن الكريم وعجائبه، ويراد به: أن القصة الواحدة تتكرر في القرآن مرات عديدة، كقصة موسى وفرعون، وكقصة نوح، وقصة خلق آدم. ([2])

١ - ينظر: من روائع القرآن (ص: ١٩٨، ١٩٩) بتصرف.
٢ -ينظر: من روائع القرآن (ص: ١٩٥).

والتكرار عند البلاغيين أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة، وله فوائد وأسرار بلاغية لا تحصر، أبرزها: التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرّر تقرّر، وقد نبه تعالى على السبب الذى لأجله كرّر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله: يَأْمُرُ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ٱللَّهَ [طه: ١١٣].([1])

ولعل في إطلاق كلمة تكرار كثيراً من التسامح والتساهل، فإن تعرض القرآن لما حدث مع نبي من الأنبياء مع قومه في أكثر من موضع ليس تكرارا بالمعنى الحقيقي للتكرار المعروف في عموم الكلام، إنما هو استشهاد بالقصة لأغراض متعددة، لذلك لا نجد القصة تعاد كما هي، وإنما يذكر الجزء المناسب للغرض والمقصد الذي اقتضى الاستشهاد بالقصة باستعراض سريع، أما جسم القصة فلا يكرر إلا نادرا، ولاستنباط دروس وعبر جديدة منه مما يجعله على الحقيقة غير مكرر، وهكذا وردت قصة آدم في ست مواضع من القرآن تثير العبر حول خطر اتباع الهوى ومخالفة أمر الله، وضعف الإنسان أو توبته وقبول توبته وهكذا. ([2])

<u>وللتكرار في القصة القرآنية ملامح عامة أهمها:</u>

- أنه لم تكرر قصة في موضعين أو أكثر على نمط واحد قط.
- يتراوح تكرار القصة القرآنية بين الطول والقصر.
- كل صورة ترد عليها القصة المكررة تحمل جديدا في الصياغة والمعنى لم يرد في غيرها.

١ ـ ينظر: الموسوعة القرآنية، لإبراهيم إسماعيل الإبياري (٢/ ٢٣٦)، ط: مؤسسة سجل العرب، سنة: ١٤٠٥ هـ.

٢ ـ ينظر: علوم القرآن الكريم، أ.د/ نور الدين محمد عتر (ص: ٢٤٩)، ط: مطبعة الصباح – دمشق، الأولى، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م، والواضح في علوم القرآن، د/ مصطفى ديب البغا، د/محيى الدين ديب مستو (ص: ١٨٦).

- كل نمط من أنماط التكرار مناسب للمقام الذى ورد فيه. ([1])

وتتلخص حكمة تكرار القصص في القرآن الكريم في: أنه ربما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره في سورة أخرى ففي كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى، أنه ذكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب وفي مواضع على طريقة الإيجاز لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين، أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فتعدد ذكرها بتعدد تلك المقاصد ". ([2])

د- العرض التصويري:

يورد القرآن الكريم القصة فلا يخبر بها إخبارا مجرداً، بل يعرضها بأسلوب تصويري، يتناول جميع المشاهد والمناظر المعروضة، فإذا بالقصة حادث يقع ومشهد يجري، لا قصة تروى ولا حادثا قد مضى، وللتصوير في مشاهد القصة القرآنية ألوان تبدو ثمارها في: قوة العرض والإحياء، وفي تخييل العواطف والانفعالات، كما تبدو في رسم الشخصيات، وهي ظاهرة في مشاهد القصص القرآني جميعا، لا ينفصل بعضها عن بعض، وقد يبرز أحدها في بعض المواقف عن بعض، فيطبع المشهد باسمه. ([3])

ومن أمثلة القصص التي برزت فيها قوة العرض والإحياء: قصة أصحاب الجنة، ومشهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في بناء الكعبة، ومشهد نوح عليه السلام وابنه في الطوفان، وقصة أصحاب الكهف.

ومن أمثلة ما برز فيه تصوير العواطف والانفعالات: قصة صاحب الجنتين وصاحبه الذي يحاوره، وقصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح، وقصة مريم عند ميلادها عيسى عليهما السلام.

---

١ - ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة (ص: ٤٦٢).
٢ - ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي (٦/١).
٣ - ينظر: الواضح في علوم القرآن (ص: ١٩٠)، من روائع القرآن (ص: ١٩٩).

وأما أمثلة اللون الثالث وهو: رسم الشخصيات وبروزها في القصة القرآنية: فهو القصص القرآني كله، واقرأ على سبيل المثال: قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، وقصة يوسف عليه السلام ، وقصة سليمان عليه السلام مع بلقيس، فكلها قصص يبرز فيها تصوير الشخصيات ورسمها على أدق ما يكون الرسم وأبرع ما يكون التصوير. ([1])

هـ- التناسق:

للتناسق في القصص القرآني صور أهمها:

-التناسق الفني، وهذا النوع من التناسق لا يتعارض مع أغراض القصص أو المراد به، فأسلوب القرآن مع الوفاء بالغرض لم يخل من السمات الفنية البارزة، الأمر الذي يدل بوضوح على مدى الإبداع القرآني وروعته في حسن التأليف بين الغرض الديني والغرض الفني معاً.

ويضرب مثالا لهذا قصة سيدنا يوسف عليه السلام، حيث تبدأ القصة في السورة وتمر بمراحل متنوعة في طريقة العرض ومتناسبة أيضا مع السياق العام للآيات، وهي واضحة للمستعرض آيات السورة.([2])

- التناسق النغمي: وهذه ميزة للقرآن وقصصه لم تتوفر لأي كتاب آخر، ومن خلال درايتي بشيء من فنون النغم والأداء، أقول: إن التالي آيات القرآن يكاد يجزم أن هذا الكلام نزل من السماء ملائما لكل طبقات الصوت، ومناهج الأداء المتنوعة، لا يتنافر مع أي منها، بخلاف الكلام العادي أو حتى الأدبي منه.

يقول أ.د/ محمد عبد الله دراز رحمه الله : " دع القارئ المجود يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله ، نازلا بنفسه على هوى القرآن، وليس نازلاً بالقرآن على هوى نفسه، ثم انتبذ منه مكانا قصيا لا يستمع فيه جرس حروفه، ولكن

١ -ينظر: الواضح في علوم القرآن (ص: ١٩٠، ١٩١)، ومن روائع القرآن (ص: ١٩٩).
٢ - الصورة الأدبية في القرآن الكريم (ص: ١١٦ وما بعدها) بتصرف، .

تسمع حركاتها وسكناتها، ومدّاتها وغنّاتها، واتصالاتها وسكناتها، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية، وقد جردت تجريدا، وأرسلت ساذجة في الهواء، فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب لا تجده في كلام آخر لوجود هذا التجويد".(١)

-الفرع الثالث : مقاصد القصص القرآني :

للقرآن الكريم مقاصد، عبر عنها المفسرون في كتبهم بعبارات متنوعة بين التفصيل والإجمال.

فذهب المجملون إلى أن مقاصد القرآن تتلخص في ثلاثة: " إثبات التوحيد، إثبات المعاد، إثبات النبوات" .(٢)

وفي تعبير آخر لبعضهم هي : تحقيق هداية القرآن الكريم، تحقيق إعجاز القرآن، التعبد بتلاوة القرآن الكريم. (٣)

بينما ذهب المفصلون إلى أن مقاصد القرآن الكريم نوعان: أصلية وتابعة، فالأصلية هي المقصودة لذاتها، والتابعة هي المقصودة لما يترتب عليها من تحقيق المقاصد الأصلية، فالأصلية: " ثلاثة أنواع : الثناء على الله ثناء جامعاً لوصفه بجميع المحامد وتنزيهه عن جميع النقائص، ولإثبات تفرده بالإلاهية، وإثبات البعث والجزاء، .....، والتابعة عبارة عن تكملات للأصلية، ويمكن اعتبارها وسائل لتحقيق المقاصد الأصلية؛ لأن القصد من القرآن إبلاغ مقاصده الأصلية، وهي صلاح الدارين وذلك يحصل بالأوامر والنواهي، ولما توقفت الأوامر والنواهي على معرفة الآمِر وأَنه الله الواجب

---

١ ـ النبأ العظيم ص ٩٥.

٢ـ إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات للشوكاني١/ ٣ ، ٤ .ط دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م – الأولى ، تحقيق : جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٠ / ٢٥٠)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣ ـ ينظر التفصيل في : مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ١٢٤ ـ ١٢٨) ، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، د.ت، بتصرف.

وجوده خالق الخلق لزم تحقيق معنى الصفات، ولما توقف تمام الامتثال على الرجاء في الثواب والخوف من العقاب لزم تحقق الوعد والوعيد.... وهكذا".([1])

والقصص القرآني كأحد أساليب القرآن الكريم وألوان تعبيره له مقاصده الخاصة، التي تتسق مع مقاصد القرآن عموماً، ويمكن إجمالها في:

- إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين، بذكر ما جرى على ايديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من المهالك.

- إثبات النبوة لسيدنا محمد ﷺ؛ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: يَأْمُرُ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۝ اللَّهَ [هود: ٤٩].

- إثبات الوحدانية، ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: يَأْمُرُ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ اللَّهَ [هود: ١٠١].

- الاعتبار في قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر.

- تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له، بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء كقوله: يَأْمُرُ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ اللَّهَ [الأنعام: ٣٤].

- تسليته ﷺ ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله.

- تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم.

-علم ما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج

---

١ - ينظر: تفسير التحرير والتنوير ١ / ٢٥٠ ، ط دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م، بتصرف.

الأنبياء وردهم على الكفار وغير ذلك. ([1])

– تصحيح الوقائع التاريخية: وهذا مقصد له شقان: أولهما: يتعلق بالمنهج وتصحيحه عموماً، والثاني: يتعلق بالوقائع الخاصة الواردة في ثنايا القصص. ([2])

المطلب الثاني: مفهوم النهوض الحضاري، والألفاظ ذات الصلة:

-الفرع الاول : مفهوم النهوض .

النهوض مصدر مشتق من الفعل: نَهَضَ، من باب: قَطَع وخَضَع، ومصدره الثاني: النهض، يقال: نهض ينهض نهضا و نهوضا، فهو ناهِض، والمفعول منهوض إليه، وتدل مادة (ن هـ ض) بأصل وضعها اللغوي على: حركة في علو، يقال: نهض من مكانه، أي: قام. ([3])

يقول ابن فارس رحمه الله:" النون والهاء والضاد أصل يدل على حركة في علو ونهض من مكانه قام ". ([4])

وقد بنيت على الأصل السابق عدة معان مستعملة ما بين الحقيقة والمجاز، منها:

-البراح عن الموضع، والقيام عنه.

-الارتفاع.

---

١ - ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، (٦/١) بتصرف يسير، وينظر أيضاً: شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، للدكتور مساعد بن سليمان الطيار (ص: ٨٠)، ط: دار ابن الجوزي، الأولى، ١٤٣١ هـ، اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر.

٢ - ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، أ.د/ عبد العظيم المطعني (١٢٩/١)، ط: مكتبة وهبة-القاهرة، الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٣ - ينظر: العين (٣ /٤٠٨)، تهذيب اللغة (٦٤/٦)، المحيط في اللغة (٤٠١/٣)، لسان العرب (٢٤٥/٧)، مختار الصحاح (١ /٢٨٤)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٦٢٨/٢)، ط: المكتبة العلمية – بيروت، د.ت، القاموس المحيط (ص: ٨٤٦، ٨٤٧)، تاج العروس (١٩ /٩٨-١٠٢)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٩٣).

٤ - معجم مقاييس اللغة (٥ /٣٦٣).

-استقلال الطائر للطيران واستعداد جناحيه لذلك، يقال: الناهض: اسم للفرخ الذي وَفُرَ جناحاه ونهض للطيران، ويقال: هو الذي استقل للنهوض، وجمعه نواهض، و: نهض الطائر: بسط جناحيه ليطير.

-القيام للحرب والإسراع إلى العدو والنصرة، يقال: انتهض القوم وتناهضوا: نهضوا للقتال، ومنه: نهض إلى العدو: أسرع إليه، وتناهضوا في الحرب: قام كل إلى صاحبه.

-المقاومة، يقال: ناهضته: قاومته.

-النهضة: الطاقة والقوة، يقال: أنهضه بالشيء : قواه على النهوض به.

-الاستواء، يقال: نهض النبت: استوى.

-التحريك، يقال: أنهضت الريح السحاب: ساقته وحملته.

ومن التعبيرات اللغوية المتعلقة بالمادة أيضاً: قولهم: ناهضة الرجل: أقاربه الذي ينهضون لنجدته.، وقولهم: استنهضه لأمر كذا: أمره بالنهوض له، وقولهم: أنهض القربة: إذا دنا من ملئها. ([1])

ومن مفردات اللغة قريبة المعنى والدلالة من النهوض: النهود (بالدال بدل الضاد)، ويفرق بينهما بأَن النُّهوض: قِيَام عن قُعُودٍ، والنُّهودُ: نُهوضٌ على كُلِّ حالٍ. ([2])

ب-المفهوم الاصطلاحي:

النهوض المقصود في البحث اصطلاحاً لا يختلف عن المفهوم اللغوي

١ - ينظر: العين (٣ /٤٠٨)، تهذيب اللغة (٦٤/٦)، المحيط في اللغة (٤٠١/٣)، لسان العرب (٢٤٥/٧)، مختار الصحاح (١ /٢٨٤)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٦٢٨/٢)، ط: المكتبة العلمية – بيروت، د.ت، القاموس المحيط (ص: ٨٤٦، ٨٤٧)، تاج العروس (١٩ /٩٨-١٠٢)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٩٣).

٢ - ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣٦١/٥)، ومجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ص: ٨٤٥)، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، وتاج العروس (٩ /٢٤٢).

كثيراً، ويمكن تعريفه بأنه: مجاوزة المكان الذي توقف فيه ركب الحضارة، وذلك يكون بالارتفاع في سلم الحضارة ودرجاتها، وبالحركة المقابلة للسكون والوقوف.

يقول الطاهر بن عاشور: " النُّهُوضَ ارْتِفَاعٌ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي استقرّ فِيهِ".([1])

-الفرع الثاني : مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا:

أ-المفهوم اللغوي :

الحضارة في اللغة اسم مشتق من الفعل: حضر، والذي يفيد بأصل وضعه اللغوي معنى الشهود وهو نقيض الغيبة والغياب ،ويفيد أيضاً معنى سكنى الحضر، أو اكتساب صفات أهل المدن إذا كان بصيغة : حضر حضارة ، والعلاقة بين المعنيين واضحة ([2]).

قال ابن منظور ([3]): " الحضور : نقيض المغيب والغيبة حضر يحضر حضورا و حضارة ... و أحضر الشيء وأحضره إياه، وكان ذلك بحضرة فلان وبحضرته و حضرته وحضره و محضره، وكلمته بحضرة فلان و بمحضر منه أي بمشهد منه، ... و الحضر: خلاف البدو ... و الحاضر: خلاف البادي .... الحاضر: المقيم في المدن والقرى " ([4]) .

-المفهوم الاصطلاحي :

---

١ - ينظر: التحرير والتنوير (٢٨/ ٣٩).

٢ - ينظر: الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي (ص ٢١٣)، ط: دار عالم الكتب - بيروت، الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣ - هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي(٦٣٠ - ٧١١ هـ = ١٢٣٢ -١٣١١ م)، صاحب (لسان العرب) ، الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس ، وعاد إلى مصر فتوفي فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. الأعلام (١٠٨/٧).

٤ - لسان العرب ٤ /١٩٦، ١٩٧، وينظر: المعجم الوسيط (١٨٠/١ ، ١٨١) ، وهو من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط: دار الدعوة بالقاهرة ، تحقيق: لجنة من المجمع ..

اختلفت صياغة مفهوم الحضارة في الاصطلاح باعتبار تنوع اتجاهات المتناولين ومناهجهم وتخصصاتهم .

وأدى الاضطراب في تحديد مفهومها إلى الخلط بينها وبين المصطلحات المتصلة بها كالثقافة والمدنية ونحوها، وهذه بعض من التعريفات الموضوعة لها:

– عرفت بأنها " وصف زائد على الوجود الثقافي للجماعة، يتضمن معنى التقدم، والتفوق النوعي والكمي، والإنجاز على مستوى الواقع، ودرجة ملحوظة من التأثير في المحيط التاريخي، وفعالية في صنع أحداثه وتوجيهها؛ فعالية قد تصل حد تشكيل منعطف ومفصل مشع فيه؛ زمانيًا ومكانيًا". ([1])

وجاء في المعجم الوسيط ([2]) تعريفها بالمفهوم العام بأنها: مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني و مظاهر الرقي العلمي و الفني و الأدبي و الاجتماعي في الحضر".

–عرفها بعض الكاتبين في تاريخها بأنها: " نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي " ([3]) .

-وعرفها بعضهم بأنها: ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير

١ ـ على عتبات الحضارة ـ بحث في السنن وعوامل التخلق والانهيار، بتول أحمد جندية (ص: ٢٥)، ط: دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، الأولى، ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م. .

٢ ـ

٣ ـ مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا ص (٦٩ ، ٧٠)، د / مصطفي السباعي ، ط دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

مقصود ، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية . ([1])

–وقريب من التعريف السابق قول بعضهم: هي الجهد الذي يُقدَّم لخدمة الإنسان في كل نواحي حياته، أو هي التقدم في المدنية والثقافة معًا" . ([2])

–وعرفها بعضهم بأنها : " الصورة الحاضرة التي يبدعها الإنسان لما يعتقده في الكون والحياة " ([3]) .

هذا هو تعريف الحضارة بصورة عامة، وللحضارة الإسلامية مفهومها الخاص؛ اعتبارا لارتباطها بالإسلام منهجاً ومقصداً.

وقد عرفت الحضارة الإسلامية بتعريفات منها:

–أولاً: ما قدمه الإسلام للمجتمع البشرى من قيم ومبادئ، وقواعد ترفع من شأنه، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي وتيسِّر الحياة للإنسان ". ([4])

–ثانياً: " ذلك الكسب العمراني الذي حققه المسلمون في مسيرتهم الخلافية مؤسساً على مبادئ عقدية ، وموجهاً بتوجيهات شرعية في كل مجالات الحياة " . ([5])

وأرى في التعريف الأخير رجحاناً وتميزاً ؛ لارتباطه بالأصل اللغوي لمفهوم الحضارة، ولتعبيره عن الخصوصية الحضارية للإسلام كوحي إلهي ومنهج

---

١ ـ الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، د/ حسين مؤنس (ص ١٣)، منشورات سلسلة عالم المعرفة – ١٩٧٨ م.

٢ ـ منتديات موقع قصة الإسلام : http://forum.islamstory.com .

٣ ـ مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم ، عمار توفيق أحمد بدوي (ص: ١٥)، ومفاهيم يجب أن تصحح لمحمد قطب (٣٣٨) ، ط: دار الشروق بالقاهرة ،الأولى ، ١٤٠٨هـ .

٤ ـعلى عتبات الحضارة (ص: ١١، ١٢).

٥ ـ معالم المنهج الحضاري في الإسلام ،د/ عبد المجيد النجار (ص١٤٩) ، بحث منشور في مجلة رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية (ثقافتنا) ، مؤسسة الفكر الإسلامي – طهران ، العدد الخامس والعشرون ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م ، وينظر : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، د/ توفيق يوسف الواعي (ص ٣٩) ، ط: دار الوفاء – المنصورة ، مصر ـ١٤٠٨هـ.

رباني، ولاستناده إلى العقيدة الإسلامية التي تعتبر منهج الحياة والنظرة العامة للكون لدى المسلم.

وختاماً لابد من الإشارة إلى امتياز اللفظ العربي: "حضارة" المشتق من "الحضور" في الدلالة على معنى "الفعالية"، فالعلامة الفارقة في الفعل الحضاري هي "حضور" المشهد التاريخي، وشهوده وعدم الغياب عنه ولعب دور فيه، "وكثير من المجتمعات الإنسانية تقتصر على مجرد الوجود دون الحضور، ومن ثم لا يمكن إطلاق مفهوم الحضارة عليها مهما كان نتاجها الذهني والمادي، طالما وقفت فقط عند مجرد الوجود". ([1])

-الفرع الثالث : التعريف بالنهوض الحضاري كمركب وصفي .

يعتبر النهوض الحضاري مرحلة من مراحل الحضارة، تعبر عن طاقة وقوة تجعلان صانع الحضارة يقوي ويستوي ويرتفع في درجاتها.

وللوقوف على مفهوم النهوض اصطلاحاً لابد من الوقوف على مفهوم النهضة، والنهضة مصطلح منبئ عن مرحلة لاحقة للسقوط، أي هي مرحلة من مراحل الحضارة تعقب الضعف والانحلال، وجمرة توقّد لبعثها من جديد، ولكنها غير لازمة، وإنما هي خيار بشري ومظهر لإرادة تحرير جبارة. ([2])

ويمكن تعريف النهوض الحضاري بأنه: قيام الإنسان – بناءً على اختيار وإرادة قوية– بإعادة تقويم حضارته منهجاً ومقصداً، اعتماداً على قوة وطاقة تبعثها من جديد، ويوصف بأنه غير لازم لكل حضارة.

ويظهر من تعريف النهوض اشتراط توافر الإرادة البشرية مع وجود عناصر الانطلاق والإبداع.

وهذا المفهوم مرتبط بالفارق العظيم بين الوجود التاريخي والوجود الحضاري، فـ" ميلاد الحضارة لا يعني أن أمة ما قد ظهرت – فجأة – في

١ ـ على عتبات الحضارة (ص: ٢٥، ٢٦).
٢ ـ ينظر: المرجع السابق (ص: ١٢).

التاريخ، فإن هذا الوجود التاريخي للأمم إنما هو فعل قدري بحت لا يملكه إلا خالق الوجود سبحانه وتعالى، وإنما يقصد بميلاد الحضارة ظهور إرادة بشرية وجدت لديها عناصر الانطلاق والإبداع، فسعت إلى أن تقوم بدور حضاري، مستعلية على مجرد وجودها التاريخي الذي تشترك فيه معها سائر الكائنات النباتية والحيوانية.

إن هذا الوجود التاريخي هو وجود عام لا فضل فيه للإنسان ، وهو لا يحتاج في استمراريته في المستوى الأدنى إلا لتعبير غريزي عن الحاجات الضرروية يشبه أن يكون في مستوى التعبير الحيواني عن حاجاته ، وأساليب الإنسان قد لا تختلف كثيرا عن أساليب الحيوان في توفير هذه الحاجات والاستجابة لها، أما الوجود الحضاري فهو وجود مختلف تماما عن هذا الوجود سواء في إطار (درجاته) أو في إطار (أساليب) التعبير عن هذه الحاجات والاستجابة له" . ([1])

- الفرع الرابع : الألفاظ ذات الصلة .

يشترك مع النهوض الحضاري عدد من الألفاظ ذات الصلة بمعناه، وأشهر هذه الألفاظ وأقربها دلالةً إلى مصطلح النهوض الحضاري: البعث الحضاري – التغيير الحضاري، وهذا تفصيلها:

-أولاً البعث الحضاري:

أصل مادة البعث في اللغة تدور حول الإثارة والإيقاظ من النوم، يقال: بعثت الناقة إذا أثرتها. ([2])

والمعنى المحوري لمادة (بعث): إثارة الحي من مكانه يلزمه بقوة، فيندفع

١ -ينظر: الظاهرة الحضارية في القرآن والسنة، أ.د/ عبد الحليم عويس ، بحث منشور بمجلة البحوث الإسلامية (١٥٩/٢١)، العدد: الحادي والعشرون، إصدار: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء – المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ.

٢ -ينظر: معجم مقاييس اللغة (٢٦٦/١)، الكليات (ص: ٢٤٤)،

ناهضاً أو مبتعداً، كبعث النائم والبعير، ومن ذلك بعث الموتى في القبور. ([1])

والملاحظ على المعنى اللغوي للبعث: أنه يشترك مع النهوض في الحركة وترك السكون، غير أن النهوض يكون بدافع داخلي وخارجي، أما البعث فلا يكون إلا بدافع خارجي.

وأما مفهوم البعث الحضاري اصطلاحاً: فيختلف عن مفهوم النهوض الحضاري؛ لأن كلاً منهما يعبر عن مرحلة من مرحلة الحضارة، فالنهوض مرحلة تعقب السقوط والضعف الحضاري، وهي مرحلة متأخرة عن البعث الحضاري، وهو مرحلة متقدمة في بداية الحضارة ونشأتها.

وقد سبب الخلطَ بينهما أن كلاً منهما يستلزم طاقة وقوة ومظاهر ترجمة لهما، والحقيقة – كما مر–أن كلا منهما مرحلة مختلفة من مراحل الحضارة، فـ"على الرغم من التطابق الظاهر بين دواعي الانبعاث الحضاري الأولي، وشروط النهوض الانعكاسي، فإن التعقيد والاضطراب الغالبين على مرحلة النهوض يثيران إشكاليات مرحلية حرجة لا تثيرها بساطة الانبعاث الأولي، والوعي بخصوصية المرحلة من أول مبررات النجاح أو الفشل في أي مشروع نهضوي". ([2])

-ثانياً: التغيير الحضاري:

التغيير في اللغة (مصدر) بوزن: تفعيل، مشتق من الفعل: غَيَّر، وتدل مادة: (غ ي ر) بأصل وضعها اللغوي على معنيين:

- الأول: الصلاح والإصلاح والمنفعة، ومن هذا المعنى: الغيرة، وهي المِيرَة بها صلاح العيال، يقال: غرت أهلي غيرة وغيارا أي مرتهم.
- الثاني: اختلاف الشيئين، ومن هذا الأصل: قولهم: هذا الشيء غير ذاك أي هو سواه وخلافه، ومن الباب: غَيْرُ: بمَعْنَى سِوَى.

١ -ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (ص: ١٤٢، ١٤٣).
٢ - ينظر: على عتبات الحضارة (ص: ١٣).

ويشتق من المعنيين معاً – على خلاف – الغيرة اسماً للدية؛ إذ فيها معنى الصلاح والإصلاح، وكذلك فيها معنى الاختلاف، والأظهر اشتقاقها من المغايرة وهي المبادلة يقال : غايرته بسلعتي إذا بادلته لأنها بدل من القود. (١)

والمعنى المحوري للتغيير في اللغة: تحول الشيء لحدة تخالطه تحولاً تاماً أو كالتام كتحول نفس الغيران من الرضا ونحوه إلى الغضب الشديد، وكالمبادلة في البيع لرغبة النفس عن المتروك، وكالتحول من القصاص إلى الدية. (٢)

أما اصطلاحاً فيعرّف التغيير الحضاري بأنه: حركة ربط موجهة ومستمرة للناس بمشروع اجتماعي، ومساعدتهم على وعيه العميق والانخراط الفعلي في بنائه استجابةً للمذهبية التوحيدية لأجل السمو في العبادة والإعمار

١ ـ ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس(٤٠٣/٤، ٤٠٤)، وينظر أيضاً: معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٤٤٣/٨، ٤٤٤)،، تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري أبي منصور(١٦٢/٨)، المحيط في اللغة للصاحب إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني (١٢٥/٥)، غريب الحديث للخطابي أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي(٣/ ١٣٩) مع حاشية التحقيق، ط: دار الفكر، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (٧٠/٢)، ط : دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، الأولى ، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي (٢٨٦/١٣)،، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (١٨٧/٣، ١٨٨)، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي ـ حامد صادق قنيبي (ص: ١٣٨)، ط: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الثانية، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.، و الفائق في غريب الحديث لمحمود بن عمر الزمخشري (٨٣/٣)، ط: دار المعرفة ـ لبنان، الثانية ، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢ ـ المعجم الاشتقاقي المؤصل (ص: ١٥٦٨).

والإنقاذ والتعارف. ([1])

١ -ينظر: التغيير الحضاري المعاصر ومشكلة المنهج نحو حركة حضارية، عبد العزيز برغوث (ص: ٨٩)، ضمن أبحاث ندوة مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، الأولى- ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

المبحث الأول
أسس البناء الحضاري في القصة القرآنية

بناء الحضارة والنهوض بها مهمة جليلة، تستلزم أسساً ثابتة وعوامل بقاء، والأسس جمع واحده أساس، وهو في مفهومه اللغوي العام: أصل البناء ومبتدأ الشيء ([1])،.ويراد بها هنا الأصول التي يقوم عليها النهوض الحضاري ومنها يبدأ، وفي المطالب التالية حديث موجز عن أسس البناء الحضاري كما تصوره القصة القرآنية

-المطلب الاول: الأساس الأول : الإنسان:

الإنسان محور الحضارة عموماً، فالوجود والبناء والنهوض وكل مراحل الحضارة يعتبر وجود أساساً لا يتحقق مفهوم أي منها بدونه.

وأهمية الإنسان وأصليته في البناء الحضاري والنهوض بينة، فهو الكائن المميز بالحضارة عن سائر الكائنات، فميلاد أي حضارة يستلزم إرادة بشرية وجدت لديها عناصر الانطلاق والإبداع، فسعت إلى القيام بدورها الحضاري، مستعلية على مجرد وجودها التاريخي، الذي تشترك فيه معها سائر الكائنات النباتية والحيوانية. ([2])

ولقد شارك القرآن الكريم منذ نزوله على قلب النبي ﷺ في بناء إنسان الحضارة؛ إذ هو اللبنة الأولى لبناء وتكوين ذلك الكون الحضاري الذي جاء القرآن ليؤسسه وينهض به، ويعتبر النهوض الحضاري بالإنسان مقصداً من مقاصد القرآن الكريم بما تضمنه من أحكام وآداب وتشريعات وأخلاق تضمن للإنسان تميزاً وتفرداً.

وقد جاء القصص القرآني نموذجاً تطبيقياً لذلك المقصد القرآني، فأولى الإنسان عناية خاصة ورعاية فائقة باعتباره الأساس الأول للنهوض

---

١ -ينظر: معجم مقاييس اللغة (١٤/١)، لسان العرب (٦/٦).
٢ -ينظر: الظاهرة الحضارية في القرآن والسنة (١٦٠/٢١، ١٦١).

الحضاري، فليست قصة من قصص القرآن إلا والإنسان محورها وقطب دائرتها.

وتعتبر قصة سيدنا آدم عليه السلام نموذجاً لتلك العناية القرآنية ببناء الإنسان المؤهل لإنشاء الحضارة والنهوض بها، وذلك من عدة وجوه أهمها:

- توضيح المهمَّةَ التي كلَّف بها الله الإنسانَ على الأرض: فقد بينت القصة هذه المهمة في قوله -تعالى-: يَأْمُرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ٱللَّهَ [البقرة : آية ٣٠].

وتنوع تفسير الخلافة المرادة في الآية، فقيل: هي خلافة آدم عليه السلام لله عز وجل في حكم الأرض وعمارتها، ثم خلافة الأنبياء -عليهم السلام- لآدم ولبعضهم البعض في إقامة أحكام الله وتنفيذ قضاياه، من باب خطاب الله تعالى داود عليه السلام: يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ چ [ص : آية ٢٦]، وقيل: هي خلافة الإنسان لله تعالى في حكم الأرض وعمارتها، بدلالة عموم قوله تعالى: يَأْمُرُ سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ٱللَّهَ [البقرة : آية ٣٠]، وقيل: هي خلافة الإنسان لسلفه من الإنسان، من باب قوله تعالى: يَأْمُرُ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱللَّهَ. [يونس : آية ١٤]، وقد تعني خلافة الأنبياء بعضهم بعضاً أو خلافتهم لله تعالى، ولا إشكال فالخليفة اسم يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والأنثى. (١)

وعلى كلٍ فللإنسان مهمة واضحة وهي عمارة الأرض والقيام بما يصلحها؛ قوله تعالى: يَأْمُرُ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ

١ - ينظر : الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٢١٥)، تفسير الطبري (١٩٩/١، ٢٠٠)، تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٦٤/١)، ط: دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، الأولى، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (١٥٢/٢)، ط : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الأولى، في ظلال القرآن (١/ ٥٦).

أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ٱللَّهَ [البقرة: ٣٠]،وسؤال الملائكة سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء؟ فإن كان المراد عبادتك، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك، أي نصلي لك، أي: ولا يصدر منا شيء من ذلك، وهلا وقع الاقتصار علينا، قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال: يَأۡمُرُ بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ٱللَّهَ، أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم. (١)

– الإشارة إلى تكريم الله الإنسان (٢) ، بأمره الملائكة بالسجود له؛ يَأۡمُرُ نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ ٱللَّهَ [البقرة : آية ٣٤]، والتكريم لآدم عليه السلام شامل الجنس كله (٣)؛ بدلالة قوله تعالى على لسان إبليس: يَأۡمُرُ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ٱللَّهَ [الإسراء : آية ٦٢]. (٤)

ومما يثمن قيمة هذا التكريم أنه مؤسس على أن الإنسان صنعة الله وخليفته، وعلى ما أعطاه الله للإنسان من المعرفة التي عجز عنها غيره، والإرادة التي تختار الطريق وتحمله الهداية إلى الله والدعوة إلى توحيده. (٥)

١ -ينظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٠/١)، ط: دار الفكر - بيروت – ١٤٠١هـ.
٢ - ينظر : زاد المسير (١/ ٥٩)، مفاتيح الغيب (٢/ ١٤٦)، تفسير ابن كثير (٧٣/١).
٣ - ينظر: تفسير أبي السعود (١٨٦/٥)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت.
٤ -الاحتناك هو الاستيلاء بالإضلال والإغواء والقيادة إليهما، أو الاستئصال بالإغواء وأصله اللغوي: وضع الراكب اللجامَ في حَنَك الفرس ليركَبه ويَسيّره ، فهو هنا تمثيل لجلب ذرية آدم إلى مراده من الإفساد والإغواء بتسيير الفَرس على حسب ما يريد راكبه ". ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي الحنبلي (٣٢٦/١٢)، ط دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م ،الطبعة الأولى، وتفسير التحرير والتنوير (١٥١/١٥) .
٥ -ينظر: مفاتيح الغيب (١٦٤/٢)، في ظلال القرآن (٥٧/١).

-منح الإنسان القدرات العقلية التي تمكنه من التعلم والاستيعاب والتخاطب والتصرف؛ يَأْمُرُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ٱللَّهَ [البقرة: ٣١].

وفي المراد بالأسماء التي علَّمها الله تعالى آدَمَ عليه السلام ثلاثة أقوال إجمالاً: الأول: أنها أسماء جميع الأشياء، والثاني: أنها صنعة كل شيء، الثالث: أنها أسماء معدودة لمسميات مخصوصة، واختلف في تفسيرها على أقوال: أحدها: أنه علمه أسماء الملائكة، والثاني: أنه علمه أسماء الاجناس دون أنواعها كقولك: إنسان وملك وجني وطائر، والثالث: انه علمه أسماء ما خلق من الأرض من الدواب والهوام والطير، والرابع: أنه علمه أسماء ذريته، وقيل: أسماء أعيان بني آدم وأسماء الملائكة، وقيل: علمه صفات الأشياء ونعوتها وخواصها. ([1])

-بيان تسخير الكون والأسباب اللازمة لبناء الحضارة، حيث علمه أسماء جميع ما خلق و صفاته وخواصه على ما تقدم، ومعرفة الأسماء والخواص دليل التسخير والتمكين.

وتسخير الكون للإنسان تعريف وتمكين، حيث يدل هذا الكون المسخر على الخالق والمسخِر ﷻ ويعرف الأنسان به معرفة كاملة، فتكون العبادة والطاعة، كما يتضمن التسخير تمكين الإنسان من معالجة الأسباب بالصورة

١ -ينظر: تفسير مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبي الحجاج (٧٣/١)،ط: دار المنشورات العلمية - بيروت، د.ت، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، تفسير مقاتل بن سليمان البلخي (٤١/١)، ط: دار الكتب العلمية – لبنان- بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الأولى ، تحقيق: أحمد فريد، تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (٤٢/١)، ط: مكتبة الرشد، الرياض – ١٤١٠هـ، الأولى، تحقيق: د. مصطفى مسلم، تفسير الطبري (١/ ٢١٦)، النكت والعيون (٩٩/١)، تفسير البغوي (٦١/١)، ط: دار المعرفة - بيروت، د.ت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (١١٩/١)، ط: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، الأولى ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، زاد المسير لابن الجوزي (٦٣/١)، التفسير الكبير (١٦٢/٢).

المفيدة المتماشية مع ضوابط الشرع ومقاصده، فتكون الحضارة الراشدة. ([1])

-لفت انتباهه إلى وجود أعداء له، من خلال مجابهته بإبليس وبيان بدء الصراع الممتد معه؛ يَأْمُرُ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ [البقرة: ٣٤ - ٣٦].

-لفت انتباهه إلى الهبوط الموقوت، ليكون منهجاً له، وليس السقوط كما ظن البعض؛ يَأْمُرُ شَآءَ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ هِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ [البقرة: ٣٦ – ٣٨].

وفرق بين الهبوط والسقوط، فأصل الهبوط: غئور أو نقص في جرم الشيء عن معتاد الحال؛ لضغط عليه أو انتقاص منه، وقد يأتي بمعنى الانتقال من بقعة إلى بقعة، كما في قوله تعالى: يَأْمُرُ بِهِۦ [البقرة: ٦١]، فالظاهر أن الهبوط قد يزول، بخلاف السقوط الذي يدل على معنى الهُوِيّ بقوة بعد انقطاع أو انفصال من حيز كان يمسك، كخروج الولد من بطن أمه قبل أوانه. ([2])

-توجيهه نحو اتباع المنهج الرباني المستقيم؛ يَأْمُرُ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ [البقرة: ٣٨]، وهو محل الدراسة في الأساس الثاني-بإذن الله تعالى-.

والدلالة الحضارية لمظاهر العناية القرآنية بالإنسان تتمثل في تمكين

١ -ينظر: مقالة الإنسان والكون، د/ محمد راتب النابلسي، موقع محمد رسول الله ﷺ، الشبكة الدولية للمعلومات، http://www.muhammad-pbuh.com/ar/.

٢ -ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل، أ.د/ محمد جبل (ص: ٢٢٨٢، ١٠٣٥، ١٠٣٦) بتصرف.

الإنسان من فهم كنهه، ومعرفة ما يضره وما ينفعه، وإدراك مهمته ليحسن القيام بها، والناتج – بتوفيق الله وإرادته – بناء حضارة وضمان نهوض بتوفيق الله ومعونته.

-المطلب الثاني: الأساس الثاني : المنهج

تعتبر سلامة المنهج أساساً لنجاح الإنسان في أداء مهمته، والمنهج المراد هنا هو الطريقة المتبعة في بناء الحضارة والنهوض بها بناءً على التصور الإسلامي للكون والحياة.

وقد عبر القرآن الكريم عن أساسية المنهج في بناء الحضارة في قصة أول البشر آدم ﷺ، فاقتصر على المنهج المستقيم، حيث سماه: "هدى"؛ يَأْمُرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ ٱللَّهَ [البقرة: ٣٨]، وفي التعبير عن المنهج بلفظ: هدى إشارة إلى ضرورة سلامة المنهج وربانيته.

و" قد خص الله عز وجل لفظة الهدى –في القرآن الكريم–بما تولاه وأعطاه واختص هو به، دون ما هو إلى الإنسان". ([1])، وفي التعبير بقوله: "مني" بالإفراد إشارة إلى أن الهدى لا يكون إلا من الله، وأكداه بقوله: "هداي" بالإفراد أيضاً. ([2])

وقد فُسر الهدى في الآية بالكتاب والرسول خصوصاً، أو البيان والرشاد عموماً([3])، وكلها معان متقاربة مقصداً وغاية، وهو شامل لجميع الشرائع الإلهية المخاطب بها طوائف الناس، لوقوع (هدى) نكرة في سياق الشرط

١ -ينظر: المفردات في غريب القرآن (٥٤١/١).
٢ -ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (١٠٩/١)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي.
٣ -ينظر: تفسير الطبري (٢٤٦/١)، تفسير السمرقندي (٧٣/١)، تفسير ابن أبي زمنين (١٣٥/١)، الوجيز للواحدي (١٠١/١)، تفسير البغوي (٢٣٤/٣)، زاد المسير (٧١/١).

وهو من صيغ العموم، وأولى الهدى وأجدره بوجوب اتباعه الهدى الذي أتى من الله لسائر البشر، وهو دين الإسلام، الذي خوطب به جميع بني آدم. ([1])

وسلامة منهج الإسلام تكمن في تضمنه تقنيناً واضحاً لعلاقات الإنسان الأساسية، وتفسيراً لها، وهي: علاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالكون، وعلاقة الإنسان بخالق الكون. ([2])

وقد تكرر التأكيد على أساسية المنهج في غالب قصص القرآن الكريم، حيث كان بعد الأمر بعبادة الله الأمر بطاعة الرسول، وتلك خلاصة مفهوم المنهج.

ومما يؤكد أساسية المنهج في اعتبار الحضارة ما ورد في قصة قوم هود عليه السلام، حيث أكدت أن انعدامه يفقد الحضارة المادية قيمتها، حيث استنكر سيدنا هود عليه السلام بناءهم العظيم، ومصانعهم وقوتهم، لخلو عملهم من المقصد الإنساني النافع وافتقارهم إلى المنهج السليم، رغم أنهم أنتجوا -مادياً- حضارةً مميزةً.

يَأْمُرُ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم [الشعراء: ١٢٨ – ١٣٥].

فقد ظهر من القوم تمحض للشغل بأمور دنياهم، وإعراض عن الفكر في الآخرة والعمل لها والنظر في العاقبة، وإشراك مع الله في إلهيته، وانصراف عن عبادة الله وحده الذي خلقهم وأعمرهم في الأرض وزادهم قوة على الأمم، فانصرفت هماتهم إلى التعاظم والتفاخر واللهو واللعب، رغم بلوغهم مبلغاً عظيماً من البأس وعظم السلطان والتغلب على البلاد، حتى قالوا: يَأْمُرُ مَنْ أَشَدُّ

١ - ينظر: تفسير التحرير والتنوير (١/ ٤٤٤).
٢ -ينظر: الظاهرة الحضارية في القرآن والسنة (١٦٦/٢١) بتصرف.

مِنَّا قُوَّةً ۖ أَللَّهَ [فصلت: ١٥]، والأعمال – مهما عظمت–إذا خلت عن مراعاة المقاصد التي ترضي الله تعالى، ولم تسر وفق المنهج الرباني؛ اختلفت مشارب عامليها طرائق قددا على اختلاف الهمم واجتلاب المصالح الخاصة، فلذلك أنكرها عليهم رسولهم بالاستفهام الإنكاري على سنة المواعظ. ([1])

-المطلب الثالث: الأساس الثالث : الأسباب:

بيّن القرآن الكريم في آيات عديدة تسخير الله الأسباب والظواهر والمخلوقات الأخرى للإنسان، وذلك مطلب هام وضروري لإقامة الحضارة وتنميتها، حيث لا يمكن للإنسان أن يقيم حضارته دون أسباب يعتمد عليها ويستعين بها.

والمراد بالأسباب: كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة. ([2])

وقد أشار قصص القرآن الكريم إلى أساسية الأسباب في صنع الحضارة الراشدة.

ويمكن أن يضرب مثالاً لهذا الأساس بقصة ذي القرنين، فقد مكن الله له في الأرض، فأعطاه سلطانا وطيد الدعائم ويسر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع.. وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة ([3])؛ وذلك قوله تعالى: يَأْمُرُ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ٱللَّهَ [الكهف: ٨٤].

وقد بينت القصة تطبيقاً أهمية الأسباب وأساسيتها في البناء والنهوض في قوله تعالى: يَأْمُرُ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ

١ -ينظر: تفسير التحرير والتنوير (١٩/ ١٦٥، ١٦٦) بتصرف.
٢ - ينظر : تفسير روح البيان (٥/ ٢٩١).
٣ - ينظر : في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٩٠).

سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا [الكهف: ٩٢ – ٩٧].

فقد كانت الأسباب المتوفرة لدى ذي القرنين متعلقة بالقتال فحسب؛ لذا خاطبهم بقوله: يَأْمُرُ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا؛ لإدراكه أن السد المطلوب يستلزم آلات وعمال يتقوى بها في فعل ذلك. (١)

فقد نصت الآيات أن ذا القرنين طلب من القوم المذكورين أن يعينوه بقوتهم المادية والعضلية: يَأْمُرُ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ، فجمعوا له قطع الحديد، وكومها في الفتحة بين الحاجزين، فأصبحا كأنهما صدفتان تغلفان ذلك الكوم بينهما يَأْمُرُ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ وأصبح الركام بمساواة القمتين يَأْمُرُ قَالَ انفُخُوا حتى إذا جعله نارا، كله لشدة توهجه واحمراره يَأْمُرُ قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا، أي نحاسا مذابا يتخلل الحديد، ويختلط به فيزيده صلابة. (٢)

وهكذا تؤكد القصة أن التغيير المقصود، والذي يعتبر صورة من صور النهوض بأولئك القوم، بما يؤدي إليه من استقرار أمرهم، وصرف مصدر الشر عنهم، لابد له من أسباب يعتمد عليها ويقوم بها.

ولا تنافي بين أساسية الأسباب وتقدير الله تعالى؛ حيث لم يكن لهم القدرة على إتمام العمل، ومعالجة تفاصيله إلا بتوفيق الله تعالى وإرادته.

قال الفخر الرازي: " واعلم أن هذا معجز قاهر لأن هذه الزبر الكثيرة إذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها ، والنفخ

١- ينظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٠/١١) ، ط: دار النشر : دار الشعب – القاهرة، د.ت، نظم الدرر (٥٠٤/٤).
٢ - ينظر : في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٩٢، ٢٢٩٣).

عليها لا يمكن إلا مع القرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين عليها" . ([1])

-المطلب الرابع : الأساس الرابع : منظومة القيم التشريعية والإنسانية:

تعتبر منظومة القيم والأخلاق أساساً لبناء الحضارات، وأصلا من أصول النهوض بها، ويراد بذلك مراعاة المعايير والمبادئ الثابتة النابعة من التصور الإسلامي كـ: العدل والمساواة والرحمة والتعارف والشورى وغيرها من القيم التشريعية والإنسانية التي أرسى القرآن الكريم دعائمها. ([2])

والقيمة واحدة القيم: معيار اجتماعي متصل بالنهج الأخلاقي للفرد والجماعة يُقيم موازين السلوك ونهج الأفعال كما يتخذها دليلا ومرشداً لمعرفة المرغوب فيه والمرغوب عنه والحسن والسيء . ([3])

وتتميز منظومة القيم التشريعية والإنسانية في القرآن الكريم بكونها منظومة حضارية؛ لأنها شاملة لكافة مناحي الحياة، ومستندة إلى عقيدة تنبني على الثواب والجزاء الأخروي وتتجاوز النفعية المادية الظرفية، ومطبقة في الواقع، وبواسطتها بنيت الأمة الإسلامية عبر التاريخ، وفائدتها تطال العالمين دون تمييز على أساس العرق أو اللون أو الدين. ([4])

وقد تضمن القصص القرآني نماذج متعددة للقيم التشريعية والإنسانية بداية من قصة آدم عليه السلام مروراً بسائر القصص القرآني، التي لا تخلو واحدة منها من ترسيخ لقيمة أو أكثر.

---

١ ـ التفسير الكبير (٢١ /١٤٦).

٢ ـ ينظر : دستور الأخلاق في القرآن ، أ.د/ محمد عبد الله دراز (ص ٨،٩) بتصرف غير يسير، ط: مؤسسة الرسالة – دار البحوث العلمية ، د.ت ، تعريب وتحقيق وتعليق أ.د/ عبد الصبور شاهين.

٣ ـ ينظر : بحث: القيم الأخلاقية بين الإسلام والغرب، أ.د/ صالح بن عبد الله بن حميد (ص: ٨)، منشورة بالشبكة الدولية للمعلومات.

٤ ـ ينظر : مقال : القيم الإسلامية وحاجة الواقع المعاصر –أ.د /خالد الصمدي – مجلة حراء –العدد ١٣ أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٨م .

وتعتبر قصة قوم سيدنا شعيب عليه السلام في سورة هود عليه السلام مثالاً لأساسية منظومة القيم في البناء الحضاري والنهوض كذلك، حيث بدأت القصة أولاً بالدعوة إلى عبادة الله وتوحيده كأساس لكل صلاح، ثم رسمت نموذجاً لمنظومة متكاملة من القيم التشريعية والإنسانية، يمكن تلخيصها في التالي:

- قيمة الأمانة: حيث أمرهم شعيب عليه السلام أن لا ينقصوا المكيال والميزان فيما يكيلون وما يزنون من المبيعات كما كانت عادتهم، وكانوا تجاراً مطففين، إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. (١)

- قيمة العدالة: وهي أعم من السابقة، لأن النهي عن بخس الناس أشياءهم نهي عن كل معاملة فيها أكل مال الغير بالباطل، كالربا والغش والتدليس والخيانة والرشوة والسرقة والاغتصاب وغير ذلك من نقص لأموال الناس وأكل لها بالباطل. (٢)

- قيمة الإصلاح: وقد تضمنها قوله تعالى على لسان سيدنا شعيب يَأْمُرُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ [هود: ٨٨]، ويقصد بها: الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه. (٣)

رابعاً: قيمة الثبات على المبدأ، حيث ثبت شعيب عليه السلام على دعوته وإيمانه ومبادئه رغم ما واجه من تهكم وإعراض وصدّ واستكبار؛ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ وَٱلَّذِينَ [هود: ٩٣].

وأما أساسية القيم وضرورتها للنهوض بالحضارة فيستفاد من بداية القصة وختامها، أما بدايتها فقد جاءت القيم عقيب الأمر بتوحيد الله

١ - ينظر: تفسير المنار (١٢/ ١١٧).
٢ - ينظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٧٣٩).
٣ - ينظر: في ظلال القرآن (٤/١٩١٨-١٩٢٢).

وعبادته، وكأنها الصورة الواقعية لاستقرار الإيمان في النفوس، وفي ختام القصة كانت العاقبة السيئة لمن أعرض عن القيم المذكورة؛ يَأْمُرُ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ٱللَّهَ [هود: ٩٤].

المبحث الثاني
عوامل النهوض الحضاري في القصة القرآنية

كما تضمنت القصة القرآنية أسس النهوض الحضاري وأشارت إليها تنظيراً وتطبيقاً، فإنها أشارت إلى عوامل النهوض الحضاري، وذلك لأن للأساس الثابت القوي عوامل تحفظ ثباته وقوته.

والعامل في مفهومه اللغوي يعني: ما يؤثر في الشيء من خارجه(١)، ويراد به هنا أمر حسي أو معنوي يؤثر في عملية النهوض المنشودة، وهو غير الأسس التي مر الحديث عنها، وللنهوض الحضاري في القصة القرآنية عوامل أذكر أهمها في المطالب التالية:

-المطلب الاول: العامل الأول : الإيمان بالله – تعالى –، وتقواه، والاتباع:

الإيمان في الشرع: "كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل" [٢]، أو بتعبير آخر هو: "الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان" [٣].

ويراد بالتَّقْوَى في عبارة مختصرة: جعل النّفس في وِقَايَةٍ مما يُخاف . [٤]

وأما الاتباع فمعناه: لحوق الشيء بتقدم أو سابق له بلا فصل، ويكون حساً ومعنى، ويراد به هنا الائتمار والامتثال. [٥]

ومن عوامل النهوض الحضاري للأمم والأفراد الاتصاف بالإيمان والتقوى والاتباع، حيث في الاتصاف بها الاتصاف بالربانية، والتي هي القاعدة

---

١ ـ ينظر: المعجم الوسيط (٦٢٨/٢).
٢ ـ تفسير الطبري (١ / ١٠١) .
٣ ـ تفسير البغوي (١ / ٤٥)، ط: دار المعرفة ، بتحقيق خالد العك ، وينظر : زاد المسير (١ / ٢٤)، ط: المكتب الإسلامي – بيروت ، الثالثة ١٤٠٤ هـ، التفسير الكبير (٢ / ٢٣ وما بعدها)، تفسير البيضاوي (١ / ١٠٦ – ١١١) ، ط : دار الفكر – بيروت ، د . ت، تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان (١ / ١٦٢) ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى – ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م ، تفسير ابن كثير (١ / ٤١) ، ط : دار الفكر – بيروت ١٤٠١ هـ .
٤ ـ ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٨١).
٥ ـ ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (ص: ١٩٧، ١٩٨).

الأساس لقيام المشروع الحضاري؛ لأنها تجعل المنهج والمقصد خالصين لله تعالى" [١])، وتلك ميزة الصورة الحضارية الإسلامية، ومناط النهوض فيها. [٢]

والعلاقة بين الإيمان والتقوى والاتباع واضحة جلية، إذ التقوى والاتباع مسببان عن الإيمان، ولازمان لصحته.

والعلاقة بين الإيمان ولوازمه من جانب، وبين الحضارة ومعالمها من جانب آخر مؤسسة على عدد من المضامين المشتركة بين الجانبين، منها:

-أولا: أن الحضارة تستند إلى محورين أساسيين: العلم والعمل، والإيمان كذلك لا بد فيه من العلم والعمل. [٣]

-ثانياً: مضمون الالتزام الثابت في الإيمان والتقوى والاتباع، وهو ضرورة حضارية كذلك؛ إذ لكل حضارة منهج، ومن شروط صحة المنهج ونجاحه الالتزام به، وللالتزام فائدته؛ حيث " تتوحد به شخصية الأمة، فإنما الأمم بالصفات والأعمال المشتركة التي تجمع بينها ". [٤]

-ثالثاً: وحدة المقاصد أو تقاربها بين الإيمان والحضارة، فكلاهما يسعى لتحقيق منفعة البشرية وسعادتها. [٥]

- رابعاً: اشتراك الإيمان ولوازمه والحضارة ومظاهرها في أن كلاً منها عمل جماعي، يبنى على تصور سابق وتخطيط وتعاون.

---

١ - ينظر: عطاء الإسلام الحضاري أ/ أنور الجندي (ص ١٣)، ط: رابطة العالم الإسلامي- جدة ، رجب ١٤١٦هـ ، العدد ١٦٣ ، السنة الرابعة عشرة.

٢ - ينظر: من روائع حضارتنا د/ مصطفي السباعي (ص ٧٠) بتصرف، ط : دار الوراق – المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣ - ينظر: بحث " اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية" د/ عبد الرحمن حللي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية (٤٥١/٢٧)، العدد الثالث عشر ، سنة ٢٠١١ م.

٤ - ينظر: تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (٦ / ٢٠٢)، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.

٥ -ينظر: مقالة: " التدين والتحضر، نحو تواصل إيجابي "، د/ عبد الرزاق وورقية، مجلة حراء، العدد ١٢ ، السنة الثالثة ، (يوليو – سبتمبر) ٢٠٠٨ م.

– خامساً: أن كلاً منهما يستلزم عملاً صالحاً نافعاً، يكون بمثابة ترجمة واقعية لصدق الإيمان أو صحة المنهج الحضاري.

– سادساً: اشتراط الرؤية المستقبلية الواضحة في كل منهما. (١)

– سابعاً: أن العلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية في صورة قيمة أخلاقية (٢) ؛ وهذا يعني أن الحضارة لا بد أن تنشأ عن إيمان وعبادة.

وقد تضمن القصص القرآني نماذج متعددة تبين قيمة الإيمان بالله وتقواه واتباع أوامره في بناء الحضارة والنهوض بها.

ولعل في تكرار قوله تعالى: يَأْمُرُ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٱللَّهَ [الشعراء: ١٠٨] في قصص سورة الشعراء ما يدل على أهمية هذا العامل، والمراد: " اعبدوا ربكم واتقوه وأطيعوا رسولكم" (٣).

فهذه صورة بديعة يرسمها النظم القرآني لحضارة مزدهرة في البناء والعمران المادي، وهي حضارة قوم عاد في قوله تعالى: يَأْمُرُ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ٱللَّهَ [الشعراء: ١٢٣-١٣٢]، فقد حصر النظم القرآني مظاهر الحضارة بين أمرين بالتقوى والطاعة؛ ولعل في هذا الترتيب إشارة إلى أن كل بناء

١ -ينظر : بحث " اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية (ص ٤٥١ – ٤٥٣) بتصرف .

٢ - ينظر : ميلاد مجتمع لمالك بن نبي (ص ٥٢) ، ط : دار الفكر دمشق ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ترجمة : أ.د/ عبد الصبور شاهين .

٣ - ينظر : تفسير ابن كثير (٣ /٣٤٣).

.

حضاري يلزمه أن يسبق بالإيمان والتقوى والاتباع، وكذلك استمرار نمطه الحضاري ونهوضه يستلزم الأمر نفسه.

وفي قصة سيدنا نوح عليه السلام بيان للثمرة الحضارية الدنيوية والأخروية للإيمان بالله تعالى ومتعلقاته من الطاعة والاستغفار والتوبة وغيرها.

يَأْمُرُ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ [نوح: ١٠ – ١٢].

فقد ربطت الآيات بين مظاهر الحضارة المتمثلة في المطر وما يتبعه من زرع ونماء وكثرة الذرية المعمرة للكون والمستفيدة من تسخيره، وبين الاستغفار باعتباره مقدمة للتحلية للإيمان وما يستلزمه من التقوى والطاعة والاتباع، حيث رتبت على الاستغفار نزول المطر وكثرة الولد، ومناسبة التعليل أنهم كانوا قد أجدبوا أربعين سنة، حتى أذهب الجدب أموالهم وانقطع الولد عن نسائهم، وقد ورد أن نبي اللَّه نوح علم أنهم أهل حرص على الدنيا، فقال: هلموا إلى طاعة اللَّه، فإن من طاعته درك الدنيا والآخرة . ([1])

وإذا كانت الحضارة تتلخص في مظاهر التقدم والعمران والازدهار النافع، فإن الآيات قد تضمنت مقومات تلك الحضارة بشقيها المادي والروحي، الدنيوي والأخروي.

قال الفخر الرازي: " واعلم أن الاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح أبواب الخيرات، ويدل عليه وجوه: أحدها: أن الكفر سبب لخراب العالم على ما قال في كفر النصارى: يَأْمُرُ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا اللَّهَ [مريم: ٩٠ ، ٩١]، فلما كان الكفر سبباً لخراب

١ ـ ينظر: تفسير الطبري (٩٣/٢٩)، تفسير السمرقندي (٤٧٧/٣)، تفسير النكت والعيون تفسير الماوردي (١٠١/٦)، التفسير الوجيز للواحدي (١١٣٦/٢)، تفسير السمعاني (٥٦/٦)، زاد المسير (٣٧٠/٨).

العالم، وجب أن يكون الإيمان سبباً لعمارة العالم، وثانيها: الآيات منها هذه الآية، يَأْمُرُ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ ٱللَّهِ [الأعراف: ٩٦]، يَأْمُرُ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ ٱللَّهِ ، [المائدة: ٦٦]، يَأْمُرُ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ٱللَّهِ [الجن: ١٦]، يَأْمُرُ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ٱللَّهِ [الطلاق: ٢ – ٣]، يَأْمُرُ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ ٱللَّهِ [طه: ١٣٢]، وثالثها: أنه تعالى قال: يَأْمُرُ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٱللَّهِ [الذاريات: ٥٦]، فإذا اشتغلوا بتحصيل المقصود حصل ما يحتاج إليه في الدنيا على سبيل التبعية....." . (١)

-المطلب الثاني: العامل الثاني: العلم والعمل به:

ويقصد بهذا العامل: تكوين الإنسان علمياً مع ربط ذلك العلم بالواقع وإدراك المقاصد والأولويات.

وقد جعل القرآن الكريم العلم شرطاً لأداء المهمات وتحمل المسئوليات، حيث نهى عن العمل بغير علم في قوله تعالى: يَأْمُرُ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا چ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها ملخصاً أقوال سابقيه من المفسرين: " ومضمون ما ذكروه أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالى: يَأْمُرُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ ٱللَّهِ [الحجرات: ١٢]، وفي الحديث: " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث "(٢)...". (١)

---

١ -التفسير الكبير (١٢٢/٣٠).

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، بَاب ما يُنْهَى عن التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: چ چ چ چ چ چ، ح: ٥٧١٧، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، بَاب تَحْرِيمِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ وَالتَّنَافُسِ وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا، ح: ٢٥٦٣. ينظر:

ومن أمثلة هذا الضابط في واقع النهوض الحضاري من خلال القصص القرآني ما ورد في قصة آدم عليه السلام كما مر [٢]، فقد كان العلم أحد معايير تكريم الله ﷻ لآدم عليه السلام.

ومن أمثلته قصة داود وسليمان عليهما السلام في سورة النمل، يَأْمُرُ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱللَّهَ [النمل: ١٥].

فقد أفادت الآية أن الله ﷻ قد أعطى داود وسليمان –عليهما السلام– العلم بمعناه الشامل لمعنى الفهم، والعلم بأمور مخصوصة القضاء وكلام الطير والدواب، وغيرها. [٣]

وفي تقديم العلم لفظاً ورتبةً ، وتعظيمه بالتنكير دلالة على أثره فيما يأتي بعده من معالم لحضارةٍ مكن الله لها في الأرض.

قال القرطبي: "وفي الآية دليل على شرف العلم، وإنافة محله، وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم، وأن من أوتيه فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله المؤمنين" . [٤]

ومما يؤكد أن العلم كان عاملا من عوامل نهوض حضارة داود وسليمان عليهما السلام تكرار ذكره في سياق القصة ومراحلها المختلفة، في قوله

الجامع الصحيح المختصر، للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (٥ /٢٢٥٣)، ط: دار ابن كثير واليمامة ، بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، وصحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري (١٩٨٥/٤)، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

١ - تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٤٠/٣)، ط: دار الفكر – بيروت، ١٤٠١هـ .

٢ - ينظر: (ص: ٣٩) من هذا البحث.

٣ - ينظر: تفسير مقاتل (٤٧١/٢)، تفسير الطبري (١٤٠/١٩)، تفسير النكت والعيون (١٩٧/٤)، تفسير البغوي (٤٠٨/٣)، تفسير البيضاوي (٢٦١/٤)، نظم الدرر (٤١٤/٥).

٤ - الجامع لأحكام القرآن (١٦٤/١٣).

تعالى: يَأْمُرُ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ٱللَّهَ [النمل: ١٦]، وقوله: يَأْمُرُ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ٱللَّهَ [النمل: ٢٥]، وقوله: يَأْمُرُ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ٱللَّهَ [النمل: ٤٠]، والقصة – كما مر–ترسم صورة دولة مكن الله لها بحضارة باهرة.

-المطلب الثالث: العامل الثالث: مراعاة القيم الاجتماعية والأخلاقية:

مر الحديث عن أساسية منظومة القيم في بناء الحضارة والنهوض بها، وهنا تأكيد على أن مراعاة القيم الاجتماعية والأخلاقية سلوكاً وتطبيقاً عامل من عوامل النهوض الحضاري ودوامه.

ومن سنن الله تعالى أن جعل بقاء الأمم ونماءها في التحلي بالفضائل، وهلاكها ودمارها في التخلي عنها، فهذه سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الأمم، ولا تتبدل بتبدل الأجيال. (١)

-المطلب الرابع: العامل الرابع: المحاسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

المحاسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محور اتصاف الأمة بالخيرية: يَأْمُرُ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ٱللَّهَ [آل عمران :١١٠]، وهو كذلك رابط الولاية بين أبناء المجتمع المسلم، يَأْمُرُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ٱللَّهَ [التوبة: ٧١]، والخيرية في الآية الكريمة تعني النفع بمفهومه الشامل المرادف للحضارة. (٢)

١ - ينظر: تفسير المنار (٣٨/١٠).
٢ - ينظر: تفسير ابن كثير (٣٩٢/١) .

ومن أمثلة هذا العامل ما ورد في قصة سيدنا سليمان عليه السلام من محاسبة الهدهد على غيابه، ودعوة قوم بلقيس إلى دين الله ودعوة الحق، فالأول نموذج لمبدأ المحاسبة، والثاني تطبيق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

-المطلب الخامس: العامل الخامس: مراعاة السنن الإلهية في الأفراد والمجتمعات:

السنن الإلهية هي: أحكام الله تعالى الثابتة في الكون وعلى الإنسان في كل زمان ومكان.

وتعتبر مراعاة السنن الإلهية في الأفراد والمجتمعات عاملاً ضروريا من عوامل النهوض الحضاري.

وقد أشار القصص القرآني إلى هذا في قصص الأنبياء مع قومهم، كما في قصة سيدنا شعيب عليه السلام، في قوله تعالى: يَأْمُرُ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ٱللَّهَ [هود: ٨٩].

وهذا الكلام فيه تنبيه إلى سوء العاقبة، وبين أيديهم العبر من غيرهم، وهي تستقبلهم في عاقبة أمرهم (لَا يَجْرِمَنَّكُمْ) لَا يحملنكم المُشاقة والمعاندة على استمراركم في العصيان فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من غرق، وما أصاب قوم هود من ريح صرصر عاتية، وما أصاب قوم صالح من صيحة تتبعها رجفة، وما أصاب قوم لوط، بل إن أرضهم تصاقب أرضكم. ([1])

١ - ينظر: زهرة التفاسير (٣٧٤٢/٧) .

المبحث الثالث
معوقات النهوض الحضاري في القصة القرآنية

كما أن النهوض الحضاري يستلزم أسساً ثابتة يبنى عليها ويؤسس، فهو بالتوازي يستلزم إدراك عدد من المعوقات بقصد التجنب والبعد عنها والحذر، وهو أمر من الضرورة بمكان، فلا تقل أهميته عن ما قبله؛ لذا كان تناول تلك المعوقات وفق المطالب التالية:

-المطلب الاول: المعوق الأول: الخلل العقدي:

سلامة العقيدة كما مر أساس لبناء الحضارة ونهوضها، والخلل العقدي معوق من معوقات النهوض الحضاري حال سقوط الحضارات.

ولعل هذا سر تركيز دعوة جميع الأنبياء عليهم السلام بالدعوة إلى تصحيح العقيدة، ولا شك أن دعوة الأنبياء هي أشرف عمليات النهوض الهادفة عاجلاً وآجلاً.

ومن الآيات الجامعة لهذا المفهوم قوله تعالى: يَأْمُرُ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ٱللَّهَ [الأنبياء: ٢٥].

فهذه الآية بمفهومها تقرير لما أجمل فيما قبلها من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الإلهية وأجمعت عليه الرسل عليهم السلام، وبمنطوقها ولفظها لا تقصر الاهتمام على مفهوم العبادة والدين بوجه عام، بل يفهم من إيثارها التعبير بلفظ: أنا في قوله: يَأْمُرُ إِلَّآ أَنَا۠ ٱللَّهَ ضرورة التوحيد وأصليته، وحتى لا يكون التعبير بنحو: نحن وسيلة إلى شبهة تعدد أو شرك في العبادة. ([1])

وتعتبر قصص الكافرين والمعاندين في القرآن نموذجاً لهذا المعوق،

١ - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٧٧/٥) ، ط : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ،إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (٦٣/٦)، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

حيث كانت عاقبتهم الهلاك بصور متنوعة.

-المطلب الثاني: المعوق الثاني : الموروثات الخاطئة:

تعتبر الموروثات الخاطئة أحد معوقات النهوض الحضاري، ويقصد بها تلك العادات والتقاليد والمعتقدات الخاطئة التي يتوارثها الناس جيلاً عقب جيل.

وقد أشار القرآن الكريم في عدد من قصصه عن تسبب الموروثات في إعاقة مسيرة الإيمان، وهي أساس الحضارة والنهوض.

ومن أمثلة هذا المعوق في القصص القرآني، ما ورد في قصة صالح عليه السلام، حيث خاطبه قومه قومه: يَأْمُرُ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ اللَّهَ [هود: ٦٢].

وهكذا يعجب القوم مما لا عجب فيه بل يستنكرون ما هو واجب وحق، ويدهشون لأن يدعوهم أخوهم صالح إلى عبادة الله وحده. لماذا؟ لا لحجة ولا لبرهان ولا لتفكير. ولكن لأن آباءهم يعبدون هذه الآلهة! وهكذا يبلغ التحجر بالناس أن يعجبوا من الحق البين. وأن يعللوا العقائد بفعل الآباء! وهكذا يتبين مرة وثانية وثالثة أن عقيدة التوحيد هي في صميمها دعوة للتحرر الشامل الكامل الصحيح، ودعوة إلى إطلاق العقل البشري من عقال التقليد، ومن أوهاق الوهم والخرافة التي لا تستند إلى دليل. ([1])

-المطلب الثالث: المعوق الثالث: مجافاة القيم الاجتماعية والأخلاقية:

تبين لنا أن مراعاة القيم الاجتماعية والأخلاقية عامل من عوامل النهوض الحضاري، وكذلك مجافاة تلك القيم يعتبر معوقاً للنهوض الحضاري.

ونقصد بمجافاة القيم: تجاهلها، وهذا سلوك ذميم، ضرره بالغ بالمجتمع والحضارة والفرد.

١ ـ ينظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٩٠٧).

وقد أشار قصص القرآن الكريم إلى هذا المعوق في قصة قوم نوح عليه السلام:

يَأْمُرُ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ٱللَّهَ [هود: ٢٥ – ٣٣].

جزموا بتكذيبه فقدموا لذلك مقدمات استخلصوا منها تكذيبه، وتلك مقدمات باطلة أقاموها على ما شاع بينهم من المغالطات الباطلة التي روجها الإلف والعادة فكانوا يعدون التفاضل بالسؤدد وهو شرف مصطلح عليه قوامه الشجاعة والكرم، وكانوا يجعلون أسباب السؤدد أسبابا مادية جسدية، فيسودون أصحاب الأجسام البهجة كأنهم خشب مسندة لأنهم ببساطة مداركهم العقلية يعظمون حسن الذوات، ويسودون أهل الغنى لأنهم يطمعون في نوالهم، ويسودون الأبطال لأنهم يعدونهم لدفاع أعدائهم. ثم هم يعرفون أصحاب تلك الخلال إما بمخالطتهم وإما بمخالطة أتباعهم فإذا تسامعوا بسيد قوم ولم يعرفوه تعرفوا أتباعه وأنصاره، فإن كانوا من الأشراف والسادة علموا أنهم ما اتبعوه إلا لما رأوا فيه من موجبات السيادة وهذه أسباب ملائمة لأحوال أهل الضلالة إذ لا عناية لهم بالجانب النفساني من الهيكل الإنساني. ([1])

-المطلب الرابع: المعوق الرابع: السلوكيات المحرمة:

من ضرورات استمرار الحضارة مزدهرة وناجحة الثبات على مجانبة السلوكيات المحرمة، ولذلك كان مقارفة تلك السلوكيات المحرمة معوقاً من معوقات نهوض الحضارة حال السقوط، واستمراها حال القيام.

١ - ينظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٤٦).

وقد بين القصص القرآني هذا المعوق وأشار إليه في قصة قوم لوط عليه السلام: يَأْمُرُ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ٱللَّهَ [الأعراف: ٨٠ – ٨٤].

فالقصة تكشف عن لون خاص من انحراف الفطرة، المترتب على انحراف العقيدة. (١)

والدلالة الحضارية في القصة في ما حل بقوم لوط من عذاب ودمار، فقد ورد أن الله جعل عالي تلك القرى سافلا، وذلك هو الخسف وهو من آثار الزلازل، ومن المستقرب أن يكون البحر الميت هنالك قد طغى على هذه الآبار أو البراكين من آثار الزلزال. (٢)

-المطلب الخامس: المعوق الخامس: الفساد عموماً:

بين القرآن الكريم أن الفساد – بمعناه العام–سبب من أسباب انهيار الحضارات وحصول المعاناة.

والفساد الذي نقصده هو ما يكون ناتجاً عن إرادة ذاتية من الفرد أو الجماعة، من نحو قوله – سبحانه وتعالى –: يَأْمُرُ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٱللَّهَ [سورة الروم : ٤١].

فالذنب المقترف بإرادة الناس واختيارهم كان " سبب الفساد الذي ظهر، وإن الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها، .....، كما قال بعض السلف:

١ - ينظر: في ظلال القرآن (٣/ ١٣١٥، ١٣١٦).
٢ - ينظر: التحرير والتنوير (٨-ب/ ٢٣٨).

كلما أحدثتم ذنبا، أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة" . ([1])

وقد تناول القصص القرآني هذا المعوق وأشار إليه في قصة قوم صالح عليه السلام:

يَأْمُرُ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ٱللَّهَ [النمل: ٤٨].

فالمتأمل الآيات الكريمة يجد النص على أن سبب ما لحق بقوم صالح هم تسعة رهط من المفسدين، والفساد المذكور في الآيات عام يشمل كافة ألوان الفساد وأنواعه.

قال صديق حسن خان في معنى يفسدون: " أي شأنهم وعملهم الفساد في الأرض لا في المدينة فقط، فساداً لا يخالطه شيء من الإصلاح، قيل: كانوا يتبعون معائب الناس، ولا يسترون عوراتهم، وقيل: كانوا يظلمون ولا يمنعون الظالمين". ([2])

ولما خص الله عملهم بوصف الظلم من بين عدة أحوال يشتمل عليها كفرهم كالفساد كان ذلك إشارة إلى أن للظلم أثرا في خراب بلادهم. ([3])

١ ـ التفسير القيم، تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٤٣٣) .
٢ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ٥٣) .
٣ ـ ينظر: المرجع السابق (١٩/٢٨٥، ٢٨٦).

المبحث الرابع
منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري

تضمنت القصة القرآنية منهجاً متكاملاً للنهوض حضارياً بالفرد والمجتمع والكون، وهو منهج يتجاوز مرحلة التنظير إلى الواقعية والتطبيق، وتفصيله في المطالب التالية:

-المطلب الأول : منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري للفرد:

شارك القرآن في بناء الصورة الحضارية للفرد بجوانبها المتعددة على التوالي والتوازي في آنٍ، ولا عجب في هذا ؛ فالفرد هو اللبنة الأولى لبناء وتكوين المجتمع الحضاري الذي جاء القرآن ليبنيه وينميه، ولقد راعى القرآن الكريم في نظامه هذه الفكرة وعبر عنها بقوله تعالى : يَأْمُرُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ [سورة الحجرات : آية ١٣.].

وقد تجلى منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري للفردفي محاور متعددة منها:

– توضيح المهمَّةَ الحضاريَّة العظيمة التي كلَّف بها الله الإنسانَ على الأرض : فقد بين القرآن الكريم هذه المهمة جليا في آيات عدة ، منها قوله –تعالى–: يَأْمُرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ۚ ٱللَّهَ [سورة البقرة : آية ٣٠].

فقد صرحت الآية بأن الله جعل الإنسان خليفة في الأرض ، والخليفة في اللغة : من استخلف مكان من قبله وقام مقامه . ([1])

– إرشاد الإنسان إلى الأسباب المتعددة المعينة له على أداء مهمته: فقد بين القرآن الكريم للإنسان في آيات عديدة تسخير الله الأسباب والظواهر والمخلوقات الأخرى له ، وذلك مطلب هام وضروري لإقامة الحضارة وتنميتها ، حيث لايمكن للإنسان أن يقيم حضارته دون أسباب يعتمد عليها سواء

١ ـ العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٢٦٧/٤).

للبناء أو الاستعانة عليه .

ومن تلك الآيات قوله- تعالى -: يَأْمُرُ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ٱللَّهَ. [سورة النحل : آية ٥-١٨].

- تصحيح العقيدة باعتبارها التصور العام للكون: وقد شمل هذا المحور عددا من الجوانب كان أهمها : تصحيح العقيدة في الله ﷻ ؛ فلقد كان التصور الجاهلي للألوهية مشوشا محرفا، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحال الغريبة في مواضع متعددة منها قوله ﷻ : يَأْمُرُ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٱللَّهَ [سورة الزخرف : آية ٨٧].

كما شمل هذا المحور أيضا: تأسيس وترسيخ عقيدة الإيمان باليوم الآخر ؛ وذلك أن عدم الإيمان باليوم الآخر كان سببا مباشرا في فساد المجتمع وحضارته ؛ لذا كان اهتمام القصة القرآنية به ظاهراً في جميعها بلا استثناء.

كما شمل هذا المحور أيضا بقية أركان الإيمان الستة، بل وتجاوزها حتى صحح عندهم كثيراً من المفاهيم والتصورات والاعتقادات، عن الإنسان والحياة والكون والعلاقة بينهما، ليسير المسلم على نور من الله، يدرك هدف وجوده في الحياة، ويحقق ما أراد الله منه غاية التحقيق، ويتحرر من الوهم والخرافات. ([1])

ولا يخفى هنا أثر المنهج القرآني في تأسيس أو تصحيح العقائد، فقد نهج القرآن الكريم في تصحيح العقيدة منهجا فريدا متكاملا، فجمع بين المنهج الفطري أو الوجداني والمنهج العقلي ، ومنهج الجدل والرد على الانحرافات ، ومنهج التذكير بالله ، ثم عرض العقيدة من خلال القضايا الاجتماعية . ([2])

وغير خافٍ أيضاً ما بين تصحيح العقيدة والصورة الحضارية للمجتمع من علاقة، فالعقيدة محور أساس لبناء الحضارة وصورتها ومنهجها.

يقول مالك بن نبي: " ... وبعد ففي ضوء القرآن يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة، وتتحكم في تطورها. والدين على هذا يبدو وكأنه مطبوع في النظام الكوني، قانوناً خاصاً بالفكر، الذي يطوف في مدارات مختلفة، من الإسلام الموحد إلى أحط الوثنيات البدائية، حول مركز واحد، يخطف سناه الأبصار، وهو حافل بالأسرار ... إلى

١ ـ السيرة النبوية للصلابي ص ١٠٩-١١٠ ..

٢ ـ ينظر : العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم (المنهج والخصائص) ، د/ عثمان جمعة ضميرية (ص ١) ، بحث منشور بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية ، العدد ١ ، ج٧ـصفر ١٤٣١هـ ـفبراير ٢٠١٠م .

الأبد .. " . ([1])

-رابعاً: دعم الجانب المعرفي لدى الإنسان: فقد بدأ تكوين المسلم بالدعوة إلى العلم، فأوَّل تشريع إلهي في الإسلام كان حثًّا وحضًّا على العِلم والتعلُّم، قال تعالى: يَأَمُرُ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٱللَّهَ [سورة العلق: آية ١-٥].

ولقد قرنت القصة القرآنية العلم والمعرفة بالمهمة الأساس للإنسان، فلقد جاء الحديث عن تعليم آدم عليه السلام فور الانتهاء من خلقه وتحديد مهمته؛ وذلك قوله تعالى : يَأَمُرُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأَمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ٱللَّهَ [سورة البقرة :٣١] .

ولا شك أن إبراز أمر تعليم آدم عليه السلام في ذلك الموقف فيه إشارة إلى معيار تكليفه بصناعة الحضارة في الأرض ، وأيضا على علة تفضيله وتكريمه .

يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله -: " هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم ، وهذا كان بعد سجودهم له ، وإنما قدم هذا الفصل على ذاك ؛ لمناسبة ما بين هذا المقام ، وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك ؛ فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم . ([2])

– خامساً: توجيه نحو منهج التوفيق والتوسُّط بين ضروريات الدِّين وحاجيات الدنيا: حيث عالجت القصة القرآنية -منطوقا ومفهوما – هذا المحور وبينت ضرورته نظريا وعمليا، منها قوله – تعالى -: يَأَمُرُ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ

١ ـ الظاهرة القرآنية ، مشكلات الحضارة (ص ٣٠٠) ، ط دار الفكر – دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٧م ، إعادة ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م .
٢ ـ تفسير ابن كثير (٧٣/١، ٧٤) .

ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ٱللَّهَ [سورة القصص: ٧٧].

ولهذه الآية خصوصية من وجهين :

- أولها : أنها دعوة للتوسط والتوفيق بين ضروريات الدين وحاجيات الدنيا موجهة لشخص صاحب مال ، والمال سبب من أسباب بناء الحضارة ، فالعلاقة بينة واضحة .
- الثاني : سياقها الجامع بين صحة المنطق وتصديق الواقع ، وذلك أن التوسط والاعتدال أمر منطقي يجمع عليه أصحاب الفطر السليمة ، وفي الآية برهان واقع على سوء عاقبة من خالف هذا المنطق.

-المطلب الثاني : منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري للمجتمع:

سارت القصة القرآنية في منهجها للنهوض الحضاري بالمجتمع وفق محاور وخطوات يدخل تحتها ما سبق من منهج النهوض بالفرد باعتباره لبنة بناء المجتمع، وأهم محاور منهج النهوض الحضاري للمجتمع هي:

-أولاً: فرض العبادات: ولا يخفى دورها في تهذيب السلوك والتربية على النظام والانضباط.

-ثانياً: بناء منظومة التشريعات والقيم: وأعني بذلك ما ورد في القصص القرآني من تشريعات تعبدية، أو معاملاتية، أو تنظيمية لعلاقة الفرد بإخوانه أو مجتمعه، إلى غير ذلك مما يضيق المقام عن إيراده .

ويضاف إلى ما سبق أن القرآن الكريم جمع في بنائه لمنظومة القيم بين النظرية والتطبيق، كما أن الصورة التي جاءت بها – تلك المنظومة في القرآن الكريم -بلغت درجة من الكمال لا يُبتغى وراءها شيء، وتميز القرآن كذلك بذلك الامتداد الرحب الذي ضم فيه جوهر القانون الأخلاقي كله، بعد أن كان مفرقا متباعدا زمانا ومكان وغير مجموع ، كما يتميز منهجه في تعليم الأخلاق بالأصالة من خلال طريقته التي سلكها لتقديم تلك الدروس المختلفة

عن الماضين، وتقريبها، بحيث يصوغ تنوعها في وحدة لا تقبل الانفصام، ويسوقها على اختلافها في إطار من الاتفاق التام ، ويضاف إلى هذا أن الأخلاق القرآنية قد رفعت ذلكم البناء المقدس، وجملته، حين ضمت إليه فصولًا كاملة الجدة، رائعة التقدم، ختمت إلى الأبد العمل الأخلاقي . ([1])

كما يدخل ضمن تميز منظومة التشريعات والقيم ما أولته القصة من اهتمام بالسنن الإلهية في الجماعات والأمم والحضارات.

وقد برز عدد من السنن الإلهية في تكوين المجتمعات حسب سياق القصة القرآنية، كأهمية القيادة في صناعة الحضارات، وأهمية الجماعة المؤمنة المنظمة في مقاومة الباطل، وأهمية المنهج الذي تستمد منه العقائد والأخلاق والعبادات، والقيم والتصورات، ومن سنن الله الواضحة فيما ذكر سنة التدرج وهي من سنن الله تعالى في خلقه وكونه، وهي من السنن المهمة التي يجب على الأمة أن تراعيها وهي تعمل للنهوض والتمكين لدين الله. ([2])

-ثالثاً: التدرج في التغيير: جعل الله تعالى التدرج سنة كونية وسنة شرعية أيضا، فاقتضت حكمته خلق السماوات والأرض في ستة أيام، قال سبحانه: يَأْمُرُ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱللَّهَ [سورة الأعراف : ٥٣]، وخلق الإنسان أطوارا ومنازل من النطفة إلى العلقة إلى المضغة فالعظام واللحم ، هذا من الناحية الكونية ،وأما من الناحية الشرعية فقد بدأ الإسلام بالدعوة إلى التوحيد وتثبيت العقيدة السليمة ،ثم كان التشريع شيئا فشيئا، فقد فرضت فرائض وحرمت محرمات بالتدريج

١ - ينظر : دستور الأخلاق في القرآن ، أ.د/ محمد عبد الله دراز (ص ٨،٩) بتصرف غير يسير ، ط مؤسسة الرسالة – دار البحوث العلمية ، د.ت ، تعريب وتحقيق وتعليق أ.د/ عبد الصبور شاهين .

٢ - السيرة النبوية للصلابي (ص ١٠٣ – ١٠٥) بتصرف .

.([1])

وقد شمل هذا المحور أيضاً تعديل السلوكيات والمفاهيم الخاطئة، وكل ما يتصل بتقدم الإنسان وازدهار جماعته ووطنه.

-المطلب الثالث : منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري للكون:

انتهجت القصة القرآنية منهجاً فريدا في النهوض الحضاري بالكون، تمثل في عدد من المحاور هي:

-أولاً: تصحيح نظرة الإنسان إلى الكون، من خلال تصحيح عقيدته، التي تعتبر ملخص علاقة الإنسان بغيره ونظرته إليه.

-ثانياً: مراعاة السنن الإلهية والقدرية في التعامل مع الكون، مما يعين على النهوض بالكون دون اصطدام بمعوقات أو موانع.

-ثالثاً: التوسط بين المادة والروح، والتوازن في العلاقة بين ما يظن فيه التضاد أو التعارض بينه.

١ ـ الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، للدكتور يوسف القرضاوي، (ص ١٠٧).

المبحث الخامس
نماذج تطبيقية لأسس النهوض الحضاري ومنهجه ومعوقاته

تبين من خلال ما مر من مباحث ومطالب اشتمال القصة القرآنية على أسس للنهوض الحضاري، وبيان لمعوقات ذلك النهوض، ومنهج للنهوض بالفرد والمجتمع والكون؛ وهي كما مر نظريات مطبقة واقعاً ومجربة، وغرضنا من دراستها هو الاستفادة منها؛ لذا كان مت الضروري تناولها من حيث التطبيق من خلال المطالب التالية:

-المطلب الأول: قصة سليمان عليه السلام في سورة النمل؛ نموذجاً لأسس النهوض الحضاري:

المتأمل قصة سيدنا سليمان عليه السلام يتبين اشتمالها على أسس النهوض الحضاري التي مر الحديث عنها بصورة واقعية محسوسة، وتفصيل الأسس على سياق القصة كما يلي:

-أولاً: الإنسان: تناولت القصة الإنسان باعتباره الأساس الأول للنهوض الحضاري من خلال الحديث عن سيدنا سليمان ووالده سيدنا داود في مطلعها، في قوله تعالى: يَأْمُرُ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ٱللَّهَ [النمل: ١٥ – ١٦].

قال المفسرون: عِلْماً بالقضاء وبكلام الطير والدواب وتسبيح الجبال وَقالا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا بالنبوَّة والكتاب وإلانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ قال مقاتل: كان داود أشد تعبُّداً من سليمان، وكان سليمان أعظمَ مُلْكاً منه وأفطن، وقوله تعالى: وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ أي: ورث نبوَّته وعِلْمه ومُلْكه، وكان لداود تسعة عشر ذكراً، فخصّ سليمان بذلك، ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولاده فيها سواء. (١)

١ ـ زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٣٥٥).

-ثانياً: المنهج: ويتلخص المنهج في الإيمان واتباع هدى الله، ويظهر الحديث عنه في مواطن متعددة من القصة، حيث بدأت به في قوله تعالى: يَأَمُرُ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱللَّهَ [النمل: ١٥].

وورد كذلك في سياق النعي على قوم سبأ في كفرهم بالله وعدم سجودهم رغم سجودهم للشمس من دونه، وذلك قوله تعالى: أَنفُسِهِمْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ يَأَمُرُ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ٱللَّهَ [النمل: ٢٥ – ٢٦].

كما ورد في ختام القصة في صورة تقرير من سليمان أن ملكه ما هو إلا فضل من ربه يبتليه به، أَنفُسِهِمْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ يَأَمُرُ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ٱللَّهَ [النمل: ٤٠].

-ثالثاً: الأسباب: بينت القصة في سياقها ألواناً من الأسباب المسخرة لسليمان عليه السلام، منها: إلانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس والطير وسائر الكون كما هو ظاهر من سياق القصة.

-رابعاً: منظومة القيم التشريعية والإنسانية: فقد تضمنت القصة عددا من القيم هي:

-النظام والمسئولية في قوله تعالى: يَأَمُرُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ٱللَّهَ [النمل: ١٧]، وفي قوله تعالى في شأن الهدهد المكلف: يَأَمُرُ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ٱللَّهَ [النمل: ٢٠].

-العقوبة والردع: في شأن الهدهد في قوله تعالى: يَأَمُرُ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا

شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ٱللَّهَ [النمل: ٢١].

-التثبت والاحتياط قبل الحكم: يَأْمُرُ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهَ [النمل: ٢٢]، يَأْمُرُ ✸ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ٱللَّهَ [النمل: ٢٧ – ٢٨].

-المطلب الثاني: قصة ذي القرنين؛ نموذجاً لمنهج النهوض الحضاري:

المتأمل قصة ذي القرنين يقف على منهج متكامل للنهوض الحضاري من خلالها تمثل في الملامح التالية:

-أولاً: تحديد المهمة الحضارية: حيث وضح من خلال القصة أن القائد الشاب استشعر في البداية الحاجة للتغيير، ثم حدد المهمة المتمثلة في ضرورة بناء السد لرد أذى يأجوج ومأجوج، ثم قام بتنفيذ عملية التغيير.

وهكذا القادة لابد أن يكون لهم "رؤية مستقبلية"، كي يستشعروا بها الأحداث المستقبلية برؤى مدروسة ومنطقية، ويقيمون عليها المتطلبات اللازمة لتحقيقها، لذا قال لهم: يَأْمُرُ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ٱللَّهَ [الكهف: ٩٥]، .. إن يأجوج ومأجوج بكثرتهم، سيعيثون في القوم فسادًا طيلة حياتهم وحياة ذرياتهم من بعدهم... تلك هي الرؤية المستقبلية التي رآها ذو القرنين، وبدراستها جيدًا، وضح الهدف ومتطلبات تنفيذه. فالأمر يستلزم إقامة ردم ضخم على أعلى تقنية، يمنع هجمات قوم يأجوج ومأجوج على هؤلاء القوم والبشر في كل زمان ويبقى أبد الدهر، لذا هتف فيهم قائلاً: يَأْمُرُ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ٱللَّهَ [الكهف: ٩٥]. (١)

-ثانياً: توزيع المهمات: النهوض الحضاري كعمل جماعي يحتاج إلى

١- ينظر: مقالة: أسس القيادة والإدارة في ضوء قصة ذي القرنين، د/ السيد حامد السيد، مجلة حراء، العدد الخامس والثلاثون، السنة الثامنة، مارس – إبريل ٢٠١٣م.

تضافر جهود وتوافق أفكار، ولا يمكن تصور انفراد فرد من الجماعة بهذا الجهد، لذا كان من الضروري التعاون وتوزيع الاختصاصات والمهام على المشاركين في عملية التغيير الذي يمثل في تلك الصورة موقفاً من مواقف القيادة، خاصة إذا تقرر أنه ليس لفرد من الناس أن يحيط بكافة التخصصات بدرجة واحدة من الحذق والدقة.

وقد أشار القصة إلى هذا الضابط نصاً وتطبيقاً في قصة ذي القرنين، وذلك في قوله تعالى حديثاً عن بناء السد: يَأْمُرُ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ٱللَّهَ [الكهف: ٩٢ – ٩٧].

فقد وزع ذو القرنين الاختصاصات والمهام قصداً لنجاح بناء السد، وذلك أنهم " لما عرضوا عليه المال في أن يكف عنهم ما يحذرونه من عادية يأجوج ومأجوج، قال : لست أحتاج إليه، وإنما أحتاج إليكم: يَأْمُرُ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ ٱللَّهَ أي: اخدموا بأنفسكم معي، فإن الأموال عندي والرجال عندكم، ورأى أن الأموال لا تغني عنهم فإنه إن أخذها أجرة نقص ذلك مما يحتاج إليه، فيعود بالأجر عليهم، فكان التطوع بخدمة الأبدان". (١)

قال أبو حيان: " وحكي في الكيفية أن ذا القرنين قاس ما بين الصدفين من حفر الأساس حتى بلغ الماء، ثم جعل حشوه الصخر وطينه النحاس مذاب، ثم يصب عليه والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد

١- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٠/١١) ، ط: دار النشر : دار الشعب – القاهرة، د.ت.

ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضع المنافخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى، فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلداً". ([1])

ولعل ما دفع ذا القرنين إلى هذا التنظيم البديع والتنسيق الرفيع للمهام رغبته الذاتية وإيمانه بضرورة تغيير حال أولئك القوم من الخوف إلى الأمن، وذلك لن يتحقق في نظره ونظرهم إلا عن طريق بناء السد، وهذا يستلزم آلات وعمال يتقوى بها في فعل ذلك، وإن أهل البلاد أخبر بما يصلح في هذا العمل من بلادهم، وأما ما معه من أسباب إنما هو للقتال وما يكون من أسبابه، لا لمثل هذا. ([2])

ثالثاً: مراعاة الأسباب ومعايشة الواقع: يعتبر إدراك الواقع في النهوض ضابطا قرآني طبقه الرسل عليهم السلام في دعوتهم الناس، ولعل في اختصاص كل نبي بمعجزة تناسب واقع قومه ما يؤصل لهذا الضابط.

ولإدراك الواقع أثره في تحقيق فاعلية التغيير حيث يعد مرحلة متقدمة من مراحله ترتبط بتشخيص المشكلة وإدراك أبعادها، وهذا من ضرورات نجاح التغيير.

ومن أمثلة هذا في القصة قوله تعالى: يَأْمُرُ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ٱللَّهَ [الكهف:

١- تفسير البحر المحيط (١٥٥/٦).

٢- ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٥٠٤/٤)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي.

٩٣ – ٩٧].

فقد بينت الآيات مدى إدراك ذي القرنين لواقعه، حيث جنوده المستعدون للقتال، وحاجته إلى من يعاونه في أمر البناء، فكان هذا الإدراك أول خطوة في تحديد مسار عملية التغيير ونجاحه، فطلب من القوم معاونته بقوتهم، وكانت النتيجة نجاح الهدف والمقصد.

وهكذا ، فالعملية التغييريَّة تستدعي وعيًا بالمتطلبات، حتى تواصل الحرَكَةُ فِعلها التغييري دونما انقِطاع، وهذا يتطلَّب امتلاكَ القُدْرة على تحديدِ المنطلقات، والأهداف، ونوعية الأمراض التي يُراد علاجها، والتركيز على الأولويات؛ فيقدم الفرْض على النَّفْل، والواجب على المندوب، والقريب على البعيد، والميدان الذي تَكثُر الحاجة إليه على الميدان الذي تقلُّ الحاجة إليه؛ وعلى هذا المنوال قسمتْ مقاصد الشرع إلى: ضرورية، وحاجية، وتحسينيَّة، وأهميتها حسب الحاجة إليها. ([1])

-المطلب الثالث: قصة أصحاب مدين؛ نموذجاً لمعوقات النهوض الحضاري:

المتأمل قصة أصحاب مدين في سورة هود عليه السلام يقف على عدد من معوقات النهوض الحضاري حسب الواقع وهي:

-أولاً: الخلل العقدي: وتمثل في الكفر بالله والشرك وعصيان الرسول، يَأْمُرُ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ اللَّهَ [هود: ٨٤].

-ثانياً: الموروثات الخاطئة: حيث كان أساس رفضهم الدعوة ما تركه آباؤهم، يَأْمُرُ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن

١ - ينظر: مقالة: " قبل إرادة التغيير إدارة التغيير " للأستاذ عبد الكريم القلالي، منشور بشبكة الألوكة: http://www.alukah.net/culture/0/28876/#ixzz3AH9fZCuk.

نَفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٱللَّهَ [هود: ٨٧].

– ثالثاً: مجافاة القيم الاجتماعية والأخلاقية: وتمثل في قوله تعالى: يَٰٓأَمُرُ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ٱللَّهَ [هود: ٩١ – ٩٢].

فقد هم قوم شعيب بإيذائه، ولم يمنعهم من قتله سوى مراعاة شأن قبيلته، ولم يولوا ما تضمنته دعوته من قيم إنسانية وخلقية اهتماما، بل لقد نفوا فهمها وإدراكها.

–رابعاً: السلوكيات المحرمة: وتمثلت في الغش في المكيل والموزون، وهذه كانت طامتهم الكبرى وسبب هلاكهم، رغم وعظ رسولهم وإقناعه لهم بالمنطق والدين.

يَأْمُرُ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ٱللَّهَ [هود: ٨٤ – ٨٦].

فقد " نهوا أولاً عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول لزيادة الترغيب فيه وجيء به مقيداً بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان". ([1])

١ ـ تفسير النسفي (٧٨/٢).

الخاتمة : وتتضمن:

-أولا : نتائج البحث:

١- تميز مفهوم القصة القرآني عن المفهوم العام للقصة الأدبية ونحوها.

٢-النهوض الحضاري يختلف عن الانبعاث الحضاري والتغيير الحضاري، من خلال فروق دلالية وأصولية.

٣- وضوح أسس البناء الحضاري من خلال القصص القرآني.

٤- وضوح عوامل النهوض الحضاري من خلال القصص القرآني.

٥- وضوح معوقات النهوض الحضاري من خلال القصص القرآني.

٦- وضوح منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري بالفرد والجماعة والكون.

٧- تعتبر القصة القرآنية مجالاً متجددا للقيم الحضارية.

-ثانيا : توصيات البحث:

١- إنشاء كراسي علمية تختص بالدراسات الحضارية من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٢- توجيه البحث العلمي في الجامعات نحو الكشف عن القيم الحضارية في القرآن الكريم.

٣- عقد الدورات العلمية المتخصصة لتدبر القيم الحضارية في القرآن الكريم وقصصه.

٤- تكليف إدارات المناهج بوزارة التربية بوضع الدراسات الحضارية القرآنية موضع الاهتمام.

- ثالثا: الفهارس العلمية:

فهرس مراجع البحث ومصادره

- القرآن الكريم .

- آداب وضوابط المجتمع الإسلامي من خلال سورة الحجرات، د/ وسيم فتح الله ، بحث منشور بشبكة المعلومات الدولية.

- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن محمد بن علي الشوكاني، ط: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م – الأولى ، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر .

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود العمادي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط: دار الفكر – ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

- الإعجاز القصصي في القرآن، سعيد عطية علي مطاوع، ط: دار الآفاق العربية بالقاهرة، الأولى، ٢٠٠٦م.

- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط: دار العلم للملايين ، الخامسة عشرة – أيار–مايو ٢٠٠٢ م.

- الأفعال ، لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي، ط : دار عالم الكتب – بيروت، الأولى، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.

- اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية، عبد الرحمن حللي، منشور بمجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، مجلد٢٧ ، العدد الثالث عشر ، سنة ٢٠١١ م .

- بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب لعلي بن عثمان المارديني، ط: دار ابن قتيبة – الكويت، د.ت، ت: ضاحي عبد الباقي.
- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ط : دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.
- التبيان في غريب القرآن لابن الهائم، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الأولى، ٢٠٠٣م، ت: ضاحي عبد الباقي.
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأثير الدين أبي حيان الأندلسي، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ت: سمير المجذوب.
- التدين والتحضر، نحو تواصل إيجابي، عبد الرزاق وورقية ، مجلة حراء ، العدد ١٢ ، السنة الثالثة ، (يوليو – سبتمبر) ٢٠٠٨ م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي ، ط: دار الكتاب العربي - لبنان، الرابعة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- التغيير الحضاري المعاصر ومشكلة المنهج نحو حركة حضارية، عبد العزيز برغوث، ضمن أبحاث ندوة مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر- الكويت، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، الأولى- ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط : دار الكتب العلمية – بيروت-لبنان، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الأولى ، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، وآخرون.
- تفسير البغوي، ط: دار المعرفة - بيروت -لبنان، ت: خالد عبد الرحمن العك.

- تفسير البيضاوي، ط : دار الفكر – بيروت ، د . ت.
- تفسير التحرير والتنوير، للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.
- تفسير السلمي (حقائق التفسير) لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، ط دار الكتب العلمية – لبنان ، بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م ، الطبعة الأولى.
- تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين ،ط دار النشر : الفاروق الحديثة – مصر، القاهرة – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ، الطبعة الأولى .
- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ط: دار الفكر – بيروت، ١٤٠١هـ .
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى.
- تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم لمكي بن أبي طالب القيسي، ط: دار النور الإسلامي، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م، ت: هدى المرعشلي.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م .
- التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر – دمشق، الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م، ت: السيد أحمد صقر.
- تفسير غريب القرآن لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، ط: دار ابن كثير،

دمشق – بيروت، د.ت، ت: محمد صبحي حلاق.
– تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج ، ط: المنشورات العلمية ، بيروت ، تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي.
– تفسير مقاتل بن سليمان ،لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ط: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، الأولى ، تحقيق : أحمد فريد.
– تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت –الأولى ٢٠٠١م ، تحقيق: محمد عوض مرعب.
– جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، ط: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ.
– الجامع الصحيح المختصر، للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، ط: دار ابن كثير واليمامة ، بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، الثالثة ، تحقيق : مصطفى ديب البغا.
– جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، ط: دار العلم للملايين، الأولى ١٩٨٧م، تحقيق رمزي بعلبكي.
– الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق يوسف الواعي ، ط: دار الوفاء – المنصورة ، مصر –١٤٠٨هـ.
– الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، حسين مؤنس ، منشورات سلسلة عالم المعرفة – ١٩٧٨ م.
– خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، أ.د/ عبد العظيم المطعني، ط: مكتبة وهبة–القاهرة، الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.
– دستور الأخلاق في القرآن ، محمد عبد الله دراز، ط: مؤسسة الرسالة – دار البحوث العلمية ، د.ت ، تعريب وتحقيق وتعليق أ.د/ عبد الصبر

شاهين.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود الآلوسي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط: المكتب الإسلامي - بيروت – لبنان، الثالثة ١٤٠٤هـ.
- زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ط: دار الفكر العربي – القاهرة، د.ت.
- السراج في بيان غريب القرآن، محمد بن عبد العزيز الخضيري، ط: مجلة البيان، الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، مساعد بن سليمان الطيار، ط: دار ابن الجوزي، الأولى، ١٤٣١ هـ، اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.
- الظاهرة الحضارية في القرآن والسنة، عبد الحليم عويس ، بحث منشور بمجلة البحوث الإسلامية، العدد: الحادي والعشرون، إصدار: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء – المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ.
- عطاء الإسلام الحضاري أ / أنور الجندي، ط : رابطة العالم الإسلامي- جدة ، رجب ١٤١٦هـ ، العدد ١٦٣ ، السنة الرابعة عشرة .
- علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر، ط: مطبعة الصباح – دمشق، الأولى، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.
- على عتبات الحضارة - بحث في السنن وعوامل التخلق والانهيار، بتول أحمد جندية، ط: دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، الأولى،

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م. .
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م، ت: محمد باسل عيون السود.
- عن اللغة والأدب والنقد، رؤية تاريخية ورؤية فنية، محمد أحمد العزب، ط: دار المعارف، القاهرة – مصر، الأولى، ١٩٨٠م.
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ط: دار ومكتبة الهلال، تحقيق : د/مهدي المخزومي، د /إبراهيم السامرائي، د.ت.
- غريب الحديث للخطابي أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، مع حاشية التحقيق، ط: دار الفكر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي.
- الفائق في غريب الحديث لمحمود بن عمر الزمخشري، ط: دار المعرفة - لبنان، الثانية ، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم.
- فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، ط: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري.
- في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ط: دار الشروق - بيروت- القاهرة، السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.
- قاموس القرآن (إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)، للإمام المفسر الحسين بن محمد الدامغاني، ط: دار العلم للملايين -بيروت، الثالثة، ١٩٨٠م، ت: عبد العزيز سيد الأهل.

- قبل إرادة التغيير إدارة التغيير " (مقالة)، عبد الكريم القلالي، منشور بشبكة الألوكة.
- القصص القرآني، عبدالباسط إبراهيم بلبول، رسالة دكتوراه، مكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة.
- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله – عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط: دار القلم – دمشق، الرابعة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- القيم الإسلامية وحاجة الواقع المعاصر(مقالة) ، خالد الصمدي – مجلة حراء –العدد ١٣ أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٨م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ت: عبد الرزاق المهدي.
- الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ت: عدنان درويش – محمد المصري.
- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م، الأولى ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض.
- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: دار صادر – بيروت، الأولى، د.ت.
مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- مجمل اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م،

دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان.
- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده ، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ٢٠٠٠م، تحقيق : عبد الحميد هنداوي.
- المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، تحقيق: خليل إبراهم جفال.
- المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، ط : دار إحياء التراث العربي، بيروت - ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، الأولى ، تحقيق: خليل إبراهيم جفال.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ط: المكتبة العلمية - بيروت، د.ت.
- معالم المنهج الحضاري في الإسلام، عبد المجيد النجار، بحث منشور في مجلة رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية (ثقافتنا) ، مؤسسة الفكر الإسلامي - طهران ، العدد الخامس والعشرون ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، ط: جامعة أم القرى - مكة المرمة - ١٤٠٩هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد علي الصابوني.
- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، ط: دار الفكر العربي، د.ت.
- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ط: دار العلم للملايين، بيروت- لبنان ،الأولى، ١٩٧٩م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل ، ط: مكتبة الآداب-القاهرة، الأولى، ٢٠١٠م.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: هيئة

المطابع الأميرية ومجمع اللغة العربية ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، ط: دار عالم الكتب-بيروت، الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للمرحوم محمد فؤاد عبد الباقي، ط: مطبعة دار الكتب – القاهرة ، ١٣٦٤هـ .
- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، أحمد مختار عمر وفريق عمل ، ط: مؤسسة سطور المعرفة- الرياض، الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
- المعجم الوسيط ، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط: دار الدعوة بالقاهرة ، تحقيق: لجنة من المجمع.
- معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ط: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ط : دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م ، الثانية ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون.
- المغرب في ترتيب المعرب، لأبي الفتح ناصر الدين المطرزي ، طبع ونشر مكتبة أسامة بن زيد – حلب – سورية، بدون تاريخ.
- مفاهيم يجب أن تصحح، محمد قطب، ط: دار الشروق -القاهرة ،الأولى ، ١٤٠٨هـ.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط: دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، الأولى - ١٤١٢ هـ، ت: صفوان عدنان الداودي.
- المقتضيات المنهجية لتطبيق الشريعة في الواقع الإسلامي الراهن، عبد

المجيد النجار، منشورات مركز دراسات المستقبل الإسلامي عدد: ٢،ط دار المستقبل.

- مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، مصطفي السباعي ، ط دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

- مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم ، عمار توفيق أحمد بدوي، منشورة بشبكة المعلومات الدولية.

- من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، د.ت، بتصرف.

- منتديات موقع قصة الإسلام : http://forum.islamstory.com .

- الموسوعة القرآنية المتخصصة ، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، د.ت .

- الموسوعة القرآنية، إبراهيم إسماعيل الإبياري ، ط: مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ هـ.

- موقع الألوكة:

http://majles.alukah.net/t99079/#ixzz38y2Ffrnb.

- ميلاد مجتمع لمالك بن نبي، ط : دار الفكر دمشق ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ترجمة: عبد الصبور شاهين .

- النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ط: دار الثقافة قطر – ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط: مؤسسة الرسالة–لبنان– بيروت، الأولى، ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي.
- نزهة القلوب " غريب القرآن " لأبي بكر السجستاني ، ط: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح – القاهرة، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م.
- نشوء الحضارات ونموها في المنظور القرآني، أ.د/ عماد الدين خليل، منشورة بموقع: إسلامية المعرفة، شبكة المعلومات الدولية:
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ط : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي.
- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، د.ت، ت: السيد عبد المقصود عبد الرحيم.
- الهادي إلى تفسير غريب القرآن، محمد سالم محيسن، شعبان محمد إسماعيل، ط: مكتبة جعفر الحديثة – القاهرة، د.ت.
- الهداية الى بلوغ النهاية،
- الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، ط: دار الكلم الطيب، ودار العلوم الانسانية – دمشق، الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.
-وفيات الأعيان، لمحمد بن علي بن خلكان، ط: دار الثقافة – لبنان ، بتحقيق إحسان عباس ، د.ت.
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لمحمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب، ط: مكتبة العلوم والحكم – السعودية– المدينة المنورة، الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني.

فهرس موضوعات البحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة.	١
أسباب اختيار الموضوع.	٢
أهمية الموضوع.	٣
أهداف البحث.	٤
مشكلة البحث.	٤
الدراسات السابقة.	٤
منهج الدراسة.	٤
خطة البحث.	٥
التمهيد : التعريف بمصطلحات البحث.	٧
المطلب الأول : مفهوم القصة القرآنية، وخصائصها، ومقاصدها.	٧
-الفرع الاول : مفهوم القصة لغة واصطلاحا .	٧
-الفرع الثاني : خصائص القصص القرآني .	١٦
-الفرع الثالث : مقاصد القصص القرآني .	٢٥
المطلب الثاني: مفهوم النهوض الحضاري ، والألفاظ ذات الصلة.	٢٧
-الفرع الاول : مفهوم النهوض.	٢٧
-الفرع الثاني : مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا.	٢٩
-الفرع الثالث : التعريف بالنهوض الحضاري كمركب وصفي.	٣٢
- الفرع الرابع : الألفاظ ذات الصلة.	٣٣

المبحث الأول: أسس البناء الحضاري في القصة القرآنية.	٣٦
المطلب الاول : الأساس الأول : الإنسان.	٣٦
المطلب الثاني : الأساس الثاني : المنهج .	٤١
المطلب الثالث : الأساس الثالث : الأسباب .	٤٣
المطلب الرابع : الأساس الرابع : منظومة القيم التشريعية والعدلية والإنسانية.	٤٥
المبحث الثاني: عوامل النهوض الحضاري في القصة القرآنية	٤٨
المطلب الاول : العامل الأول : الإيمان بالله – تعالى – ، وتقواه ، وطاعته.	٤٨
المطلب الثاني : العامل الثاني : العلم والعمل به .	٥٢
المطلب الثالث:العامل الثالث: مراعاة القيم الاجتماعية والأخلاقية.	٥٤
المطلب الرابع : العامل الرابع : المحاسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.	٥٤
المطلب الخامس : العامل الخامس : مراعاة السنن الإلهية في الأفراد والمجتمعات .	٥٥
المبحث الثالث: معوقات النهوض الحضاري في القصة القرآنية	٥٦
المطلب الاول: المعوق الأول : الخلل العقدي.	٥٦
المطلب الثاني: المعوق الثاني: الموروثات الخاطئة.	٥٧
المطلب الثالث:المعوق الثالث: مجافاة القيم الاجتماعية والأخلاقية.	٥٧
المطلب الرابع: المعوق الرابع: السلوكيات المحرمة.	٥٨
المطلب الخامس: المعوق الخامس: الفساد عموما.	٥٩

المبحث الرابع: منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري.	٦١
المطلب الأول:منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري للفرد.	٦١
المطلب الثاني: منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري للمجتمع .	٦٥
المطلب الثالث: منهج القصة القرآنية في النهوض الحضاري للكون .	٦٧
المبحث الخامس: نماذج تطبيقية لأسس النهوض الحضاري ومنهجه ومعوقاته.	٦٨
المطلب الأول: قصة سليمان – عليه السلام – في سورة النمل؛ نموذجا لأسس النهوض الحضاري.	٦٨
المطلب الثاني : قصة ذي القرنين ؛ نموذجا لمنهج النهوض الحضاري .	٧٠
المطلب الثالث: قصة أصحاب مدين؛ نموذجا لمعوقات النهوض الحضاري.	٧٣
الخاتمة.	٧٦
أولاً: نتائج البحث.	٧٦
ثانياً: توصيات البحث.	٧٦
ثالثاً: الفهارس العلمية.	٧٧
أولاً: فهرس مراجع البحث ومصادره.	٧٧
ثانياً: فهرس موضوعات البحث.	٨٨

والحمد لله أولاً وآخراً

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين